

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكَّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مج ١٩، ٢٤، ٢٠٠٦

© حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختراجه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابين من الناشر .
قيمة الاشتراك السنوى :

(داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ جنيهاً مصرياً

(خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

٨٠ دولاراً أمريكياً

سعر العدد :

(داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ جنيهاً مصرياً

(خارج جمهورية مصر العربية شاملاً البريد)

٢٠ دولاراً أمريكياً

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٦٠٧٩

فاكس ٥٤٤٧٢٤٤

المحتويات

الصفحة	البحث
٩	البنية الدلالية والإحالية للضمائر د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
١٣٩	تخفيف عين الكلمات الثلاثية د. قبارى محمد شحاته
١٨٩	علم الدلالة د. عبد الكريم محمد حسن جبل
٢٦٥	مصطلح المعنى فى كتاب سيويه د. صبحى إبراهيم الفقى
٣١٣	دلالة السمات شبه اللغوية (المصاحبة لأداء الكلام فى عملية التواصل) د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى

دلالة السمات شبه اللغوية
المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل
(دراسة تطبيقية)

على بعض من روايات الأستاذ/ نجيب محفوظ
(ملحمة الحرافيش. السكرية. الشحاذ)

د. عبد المنعم السيد أحمد جدامى

أقصد بالسمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي، أنها ليست السمات اللغوية الحقيقية، وهذه السمات شبه اللغوية Paralinguistic Features تتمثل فيما يلي:

١ - السمات البروسودية الصوتية المصاحبة للكلام، مثل: النبر، والتنغيم، والسكتات الكلامية Pauses، وكذلك معدل الأداء الكلامي، ودرجة الصوت Pitch، ونوعية الصوت Quality of Voice، وقوته Volume.

٢ - الأصوات غير الكلامية، وتسمى أيضاً بالفضلات الصوتية Vocal Segregates، مثل: الضحك، والبكاء، والتأوه، والصراخ، والنحنة، والسعال، والغمغمة، وغير ذلك من الأصوات المصاحبة للأداء الكلامي.

٣ - الأصوات غير الإنسانية التي يسمعها الإنسان حوله، مثل: أصوات الحيوانات والجمادات، ومظاهر الطبيعة كصوت البرق، وهطول الأمطار، والآلات المختلفة (١).

(١) انظر بالتفصيل كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٧.

هذه السمات سوف نرى أن لها دلالات في عملية التواصل،
فالتواصل Communication داخل أى مجتمع متعدد الأنظمة، فهناك
النظام اللغوى، وحركات الجسم وغيرها من الأنظمة التى يشملها التواصل،
الذى يقسم إلى قسمين كبيرين هما:

١ - التواصل اللغوى Vocal، وهو الذى يحتوى على كل الأحداث
المتضمنة فى إنتاج الكلام.

٢ - التواصل غير اللغوى non - Vocal، وهو المركب من كل
الأنشطة التواصلية غير الكلام، كالإيماءة، وحركات الجسم، والرموز
وغیرها(٢).

وما يركز بحثى عليه هو السمات شبه اللغوية المصاحبة للنوع الأول
من السلوك أو التواصل، وقد وجدت فى بعض روايات الأستاذ نجيب
محفوظ مادة لغوية يصفها كتابة فى رواياته من هذا النوع من السمات،
سوف أقوم بتحليلها فى هذا البحث، والروايات التى أخذت منها مادة
بحثى هذا هى روايات (ملحمة الحرافيش، والسكرية، والشحاذ).

أما الدراسات السابقة فى هذا المجال، ففى حدود علمى هناك
دراستان، أولهما: دراسة رائدة فى اللغة العربية وهى دراسة أ.د. كريم
زكى حسام الدين: الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره
فى التواصل، طبع بمكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٩٢ م، وفيه قدم د.
كريم دور الدلالة الصوتية وأثرها فى عملية التواصل للقارئ العربى،
اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

(2) Lavers, J, and Hutcheson. s. 1972, P. 12.

ونشير أنهما يرفضان المصطلحين non-Verbal, Verbal

الأول: بعنوان: الصوت والسمع والكلام، وهو فصلان، الأول هو: الصوت الظاهرة ومفهومها، والثاني: السمع والكلام.

أما الباب الثاني: وهو بعنوان: الصوت: الكلام والدلالة، وهو فصلان، أولهما: الصوت الأداء والدلالة، وثانيهما: الصوت وسمات الأداء في العربية.

أما الباب الثالث: فهو بعنوان: الصوت اللغة والدلالة، وهو مكون من فصلين، الأول بعنوان: الدلالة والتباين الصوتي، والثاني بعنوان: الدلالة والتعبير الصوتي.

أما الدراسة الثانية فهي دراسة أ. د. أحمد عارف حجازي: دراسات لغوية في الحديث الشريف، طبعة دار حراء بالمنيا، سنة ١٩٩٤م، بحث في الفصل السادس منه دلالة الضحك، وفي الفصل السابع تحدث عن الدلالة السلبية في الحديث الشريف، وخصّ منها الصمت الذي ذكر دلالاته في الحديث الشريف.

وتوجد دراسة أ. د. محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، توزيع دار الفكر العربي بالقاهرة، سنة ١٩٩٥م، قدّم فيه المؤلف مفهوم الاتصال وأنواعه، وركز على الاتصال غير اللفظي.

ومن هنا فمادة بحثي روايات نجيب محفوظ لم تبحث كموضوع لدلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي وأثرها في عملية التواصل.

ويشتمل بحثي على عدد من العناصر هي كالاتي:

أولاً: الدراسة النظرية، وتشتمل على عرض للسمات شبه اللغوية في الدراسات الغربية، وعرض لاهتمام التراث العربي ببعض هذه الملامح الصوتية.

ثانياً: الدراسة التطبيقية ، وتشتمل على توضيح للأثر الدلالي للسمات شبه اللغوية في عملية التواصل من خلال مادة البحث.

أولاً: الدراسة النظرية:

ارتبطت نشأة البحث في السمات شبه اللغوية ودورها في عملية التواصل بأربع أنواع من الدراسات هي كالاتي:

١- الدراسات الثقافية، والتي تطورت من خلال علماء الأنثروبولوجيا اللغوية الذين درسوا ثقافة الشعوب والتواصل فيها، وأنواع التواصل، وسوف نرى من خلال الدراسة النظرية في هذا البحث أثر بعض اللغويين الأنثروبولوجيين، أمثال: سايبير وهاميز وتريجر في دراسة هذه الظاهرة في التواصل.

٢- ترتبط أيضاً بالدراسات السيمولوجية، حيث تشغل العلامة اللغوية والعلامة غير اللغوية مكاناً في السيمولوجيا، فالعلامة غير اللغوية والتي تغطي مجموعاً من المظاهر الدالة على حركات الجسم والإيماءات والسمات شبه اللغوية، وكل ما هو اتصال خارج اللغة، كل هذا يدخل في إطار الدراسات السيمولوجية^(١). ولعل قول أحد رواد هذا العلم الآن وهو الإيطالي إمبرتو إيكو U. Eco عن علاقة التواصل بالعلامات، حيث يذكر أن دراستهم تشمل كل العمليات الثقافية كعمليات التواصل، فهذه العمليات من وجهة نظره تبدو كلها تحت نظام العلامات^(٢).

٣- ترتبط أيضاً بالدراسات الصوتية، وبخاصة عند مدرسة لندن، فيرث J.R.Firth وتلاميذه الذين أسسوا نظرية التحليل البروسودي Prosodic Analysis ، والتي هدفها تسجيل السياقات الصوتية العامة، وأنواعها، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصة بالنسب والنغم، وقد خرج من هذه المدرسة الإنجليزية باحثون اهتموا بدراسة السمات شبه اللغوية ، أمثال: Laver ، وكريستل، وغيرهما، وسوف نوضح هذا بعد قليل.

(١) C. Maury – Rouan 1993, P. 103.

(٢) U. Eco 1976, P.8.

٤- ترتبط أيضاً بدراسات المعنى في مدرسة لندن عند فيرث وتلاميذه، الذين بلوروا نظرية للمعنى متأثرة بفكرة السياق عند الأنثروبولوجي الشهير مالنوفيسكي، ونظرية فيرث للمعنى تقرر أن المعنى يخرج من سياق الحال Context of Situation ، وسوف نوضح ذلك بعد قليل.

ومن هذا كله ارتبطت وخرجت دراسة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي Paralinguistic ، علماً بأن هذه الظاهرة مرتبطة بالتواصل ككل - كما ذكرت- وهذا بأنواعه مرتبط بالتقافة ، وسوف أوضح ذلك في السطور التالية.

إن العلاقة بين الثقافة والتواصل علاقة قوية، وفي توضيح مفهوم كل منهما تتضح هذه العلاقة القوية . تعرف الثقافة بأنها " كل مخططات الحياة التي أنتجت عبر التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة، والعقلية، وغير العقلية، وهي مرشد في أي وقت لسلوك الإنسان "(١)، فتقافة أي مجتمع تحتوي على أي شيء، من مثل ماذا يعرف، أو يعتقد لكي يعمل في سلوك متعارف عليه بين أعضاء المجتمع، والثقافة كائنة فيما يتعلمه الإنسان باعتبار أنه مميز من خلال ميراثه البيولوجي، والثقافة ليست إلا عملية تنظيم للأفكار والمعتقدات والمشاعر، وصيغ للأفكار التي يمتلكها الإنسان في عقله (٢).

ومن هنا فالثقافة تلعب دوراً هو الأهم في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة، فهي تولد الروابط بين أعضاء مجتمعها، وتساهم في طريقة التفكير والشعور والسلوك المشترك، كما أنها تساهم من ناحية أخرى بطريقة تواصلية رمزية في إثبات هذه الوشائج.

الثقافة نظام موروث من الأفكار المكونة من الخبرات الذاتية للأفراد، وباعتبارها طريقة مشتركة للحياة يساهم في ذلك المستوى المادي والمستوى المعرفي [اللغة - الرموز] ، ومنهما نعرف أن الثقافة مشاركة (٣).

(١) Kluckhohn, c and Kelly, W, 1945, P. 77.

(٢) Goodenough, W.H. 1964, P. 36-37.

(٣) Haslett, B, 1989, P.20.

يترادف في لغتنا مصطلحا الثقافة والحضارة، فنجد البعض يستعمل الحضارة بالدلالة نفسها الموجودة كترجمة للمصطلح الإنجليزي [Culture]، ونلاحظ هذا في مقال د. أحمد أبي زيد: حضارة=

أما التواصل فهو تنظيم وتقييس لنظام ثقافي منمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة (١).

ومن هنا نلاحظ العلاقات المكملة بين التواصل والثقافة، فالبشر يكتسبون الثقافة والتواصل معاً، فلا توجد واحدة دون الأخرى، الثقافة مشاركة، وطريق للحياة مرضي عنها من قِبَل المشاركين، والمشاركة والرضا يصنعان فقط من خلال التواصل، ويتواصل الإنسان في وسط ثقافي يُشيد صيغة وطبيعة التواصل، ومن هنا يسأل الفرد عن التأثيرات الثقافية في اكتساب الثقافة، فإنه يحتاج إلى معرفة أن الثقافة تبني كل من ماذا اكتسب، وكيف اكتسب، فمن خلال العمليات التواصلية تتحول الثقافة من جيل إلى جيل، ذلك أن كل ثقافة تفكير تحتي، وقيمة جماعية عرفية في نفسها (٢).

فطرق التفكير والشعور والسلوك المشترك داخل أية ثقافة، كل هذا رموز للاتصال والمشاركة بين أفراد المجتمع، وهي شكل رمزي أو إشاري مشترك بين أفراد المجتمع، وبفضل هذا السلوك وبه يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشعرون بأنهم يكوّنون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً (٣).

=اللغة، المنشورة سنة ١٩٧١م، بمجلة عالم الفكر الكويتية، ولكن نلاحظ أنه في السنوات الأخيرة قد استقرت ترجمة المصطلح الإنجليزي بمصطلح الثقافة، ونلاحظ هذا في استخدامات اللغويين، ومنهم: د. كمال بشر في مقاله: اللغة والثقافة، المنشور في سنة ١٩٩١م، وكذلك د. كريم حسام الدين في كتابه: اللغة والثقافة. وهناك من العرب من يرى علاقات قوية بين مفهوم الحضارة ومفهوم الثقافة، وإن اختلفا استعمالاً في اللغات الأوروبية، حول هذا انظر: مقال د. معن زيادة: بين الثقافة والحضارة، المنشور سنة ١٩٨٦م بمجلة الأبحاث.

(١) Ibid, P. 20.

وقد جمع د. محمد العبد عدداً من التعريفات الخاصة بالتواصل [أو الاتصال حسب تعبير د. محمد]، من هذه التعريفات أنه نقل المعلومات بين الأفراد نقلاً مقيداً بقناة محددة. وكذلك هو نظم صناعة الأخبار بواسطة العلامات، وهناك تعريف آخر ينقله هو أنه المؤشر على إحداه استجابة. ويلاحظ د. العبد أن وظيفة الاتصال ليست دائماً نقل المعلومة أو صناعة الخبر - كما قال أحد التعريفات - فربما اقتصررت وظيفة الاتصال على عمل جو من المؤلفات الاجتماعية. انظر: كتاب د. العبد ١٩٩٥م، ص ١٣.

(٢) Ibid, P. 20.

(٣) د. كريم حسام الدين ٢٠٠١م، ص ٦٠.

ومن هنا العلاقة قوية بين التواصل والثقافة داخل أي مجتمع، الثقافة باعتبارها كيان مرمز، والتواصل هو الترميز، وأي عضو في المجتمع يكتسب الاثنيين معاً ، فالثقافة^(١) والتواصل يكونان معاً في إطار المجتمع الواحد يكتسبان معاً، ويستخدمهما المجتمع معاً، ولعل توضيح موجز لنظريات الثقافة يبين لنا أشياء مهمة في إطار التواصل داخل المجتمع.

تلخص نظريات الثقافة في :

[١] الثقافة تميز فطري، على اعتبار أن الرؤية الكلية للثقافة تعلم وتحول وتنقل من جيل إلى آخر من خلال الأحداث الإنسانية، ومن التفاعل وجهاً لوجه، وبالطبع من خلال التواصل الإنساني، وهذه الرؤية للثقافة تشير إلى توضيح أن أي طفل من غير اعتبار للوراثة الجينية سوف ينمو ويحاول اكتساب النماذج الثقافية للبشر الذين يتواصلون معه^(٢).

[٢] الثقافة معرفة، ولما كانت الثقافة متعلقة فمن هنا فإنها يمكن أن تكون تفكير بمصطلحات لمعرفة العالم، هذا الفعل لا يشير فقط إلى أعضاء ثقافة ما يجب أن يعرفوا وقائع أو تكون صالحة لإدراك الموضوعات والأماكن والبشر. تشير أيضاً إلى أنهم يجب أن يتشاركوا في نماذج التفكير وطرق فهم العالم^(٣).

[٣] الثقافة كتواصل^(٤)، ولما نقول إن الثقافة تواصل نشير إلى أن رؤيتها كنظام من العلامات، هذه هي النظرية العلامية Semiotic للثقافة، هذه الرؤية تعتقد أن

(١) يشير اللغوي الأمريكي يوجين نيدا E.Nida إلى تقسيمات الثقافة، وسوف أنقل التعريف الذي أورده للثقافة أولاً، حيث يقول بأن : " الثقافة تشمل الموسيقى والفن والعادات الحميدة، وهذا ليس تعريف الأنثروبولوجيين للثقافة ، فعندهم هي كل السلوك المتعلم المكتسب من المجتمع المادية وغير المادية المنقلة من جيل إلى جيل آخر، ثم يقسم الثقافة إلى ثقافة مادية، واجتماعية، ودينية، ولغوية، كما أن الثقافة طريقة للسلوك، للتفكير والتفاعل، لكننا لا نرى الثقافة، إننا نرى مظاهر الثقافة وبخاصة الموضوعات - التي يصنعها أو يستخدمها الإنسان - والأحداث التي يفعلها أو يقولها الإنسان . انظر : E.Nida, 1954, P. 28-29.

(٢) A, Duranti, 1997, P.24.

(٣) I bid, P. 27.

(٤) من الذين يناصرون ويأخذون بهذه النظرة للثقافة الأمريكي هول E. Hall ؛ ذلك لأنه يرى أن كلاً من نظرية الثقافة ونظرية كيف تنشأ الثقافة خارج اهتمام كتابه، وأن كتابه يعالج الثقافة في-

الثقافة إعادة تمثيل العالم، فهي طريقة لجعل إدراك الحقيقة من خلال تشكيلها بقصص وأساطير، وأوصاف، ونظريات، وأمثال، وإنتاج فني والمسرحيات، بوجهة النظر هذه المنتج الثقافي البشري، مثلاً: الأساطير والقوس تصنيفات للعالم الطبيعي والاجتماعي (١).

يشير إلى أن هناك نظريات ترى الثقافة نظاماً من التوسط، على اعتبار أن الاستعمال العام للغة ما يأخذ مكانة في المستوى نفسه كاستعمال عام لكل الأهداف التي تطوقها في المجتمع (٢). وترى على اعتبارها نظاماً من الممارسة (٣)، وكذلك كنظام من المشاركة (٤).

ومن هذه النظريات نرى أن الثقافة بكل النظريات القائمة حولها تؤكد أنها لا توجد إلا من خلال مجتمع بشري يصنعها، وهي نظام ممارس. كذلك فإن الإنسان داخل المجتمع يصنع ثقافته، ومن هنا أيضاً فهو قادر على الترميز، كما أن الثقافة والتواصل كل متحدد داخل المجتمع.

كما نشير إلى أن كل مجتمع تتجدد ثقافته بالاحتكاك مع الثقافات الأخرى، وأيضاً مع الأحداث التي تطرأ على المجتمع ويتبع ذلك راصداً التغيرات الثقافية العلامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية (٥).

=مجموعها كصيغة للتواصل. انظر: E. Hall, 1959, P. 51 ، كما أن هول يجعل عنوان الفصل الخامس من كتابه هذا بعنوان [الثقافة تواصل] يفحص فيه الثقافة على اعتبارها تواصل. انظر: E.Hall, 1959, P.119-126 .

(١) A. Duranti, 1997, P.33.

(٢) I bid, P.39.

(٣) I bid, P. 43.

(٤) I bid, P.46.

(٥) لعسل من هذا القبيل ما يذكره لوتمان وأوسبنسكي من توجهات بطرس الأكبر ١٦٧٢ - ١٧٢٥م في روسيا معادلة إلى درجة كبيرة لمواجهة الطقوس والرموز القديمة التي عبّر عنها بالمواجهة بخلق علامات جديدة، فعلى سبيل المثال أصبح حلق اللحية إلزامياً بعد أن كان إطلاقها أصلاً، كما أصبح ارتداء الملابس على النمط العربي أساسياً بعد أن كان ارتداء الملابس الروسية التقليدية أصلاً. انظر: مقال لوتمان وأوسبنسكي، ترجمة د. عبد المنعم تليمة، المنشور في كتاب من إشراف د. سيزا قاسم، د. نصر أبو زيد ١٩٨٦م، ص ٢٩٦، ويشير س. أ. ورم إلى أن التغيير-

وتتنوع أنظمة التواصل إلى لغوية وغير لغوية، واللغوية التي يكون التواصل من خلال اللغة، أما التواصل غير اللغوي فيكون من خلال الإشارات الجسمية Gestures ، وحركات الجسم وأوضاعه، وكذلك التواصل عن طريق اللمس والشم والذوق، وهناك التواصل البصري عن طريق الخط والكتاب والرسم والنحت، وهناك التواصل السمعي ويتمثل إلى جانب الكلام في الموسيقى والغناء (١).

وهناك تواصل عن طريق الأنظمة الدلالية الأداة التي تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، وتتمثل في:

١- الأشياء التي يستعملها الإنسان، مثل: الملابس، والحلي، وبعض الأدوات التي تستعملها المجتمعات في أغراض مختلفة تحمل دلالات مختلفة، مثل: المنديل، والمسبحة، والعصا، والسيف، وغير ذلك .

٢- المؤسسات، ويعني هنا نظاماً محدداً من سلوك الجماعة تتواصل من خلاله ويخضع للتواضع والاتفاق، ويعد جزءاً أساسياً من ثقافة الجماعة، ومن ذلك نظام القرابة، ونظام الدين، ونظام الاقتصاد (٢).

ومن هنا نلاحظ تعدد أنظمة التواصل داخل المجتمع، فإذا كان الإنسان قادراً دون غيره من الحيوانات أن يتكلم ويصنع بنظام اللغة العالم الذي يعيش فيه، فإنه يصنع هذا العالم أيضاً بأنظمة اجتماعية أخرى تحمل دلالات ومضامين مختلفة ترمز وتشير وتؤدي وظائف مثل اللغة، ومن هنا يمكن أن نقول بدلاً من تعريف أرسطو القائل : إن الإنسان حيوان ناطق، نقول: إن الإنسان حيوان متواصل؛ ذلك لأنه يصنع أنظمة أخرى

في الثقافة يؤثر على اللغة، ويؤدي إلى انقراض اللغات في أحيان كثيرة، ومن ذلك ما يشير إليه ورم من أن ضغط الثقافة الأوربية الدخيلة على لغات السكان الأصليين في أستراليا أدى إلى القضاء على الثقافة التقليدية للمتكلمين بهذه اللغات، فحلت محلها صورة من الثقافة الأوربية لم تستوعبها أفهام هؤلاء القوم في أغلب الأحيان، وكانت النتيجة أن أصبحت المفاهيم القومية التقليدية المعقدة أمراً لا ضرورة له بعد انقراض الثقافة التقليدية بكل مفاهيمها. انظر: ترجمة مقال ورم S.A.Wurm * تفسير اللغات نتيجة لتغير الثقافة وانقراضها، ترجمة أمين محمود الشريف بمجلة ديوجين، العدد رقم ٨١، ص ٤٣ .

(١) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) السابق: ص ٢٨، وانظر: كتاب برنار توسان، ٢٠٠٠م، ص ٢١ - ٣٣ .

مع اللغة هي سلوك له داخل المجتمع تخضع للمواضعة مثل اللغة، كما أنها هذه الأنظمة جميعاً تؤدي وظيفة واحدة هي التواصل^(١).

وأشير في الصفحات التالية إلى مولد فكرة السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي **Paralanguage** وأثرها الدلالي في عملية التواصل، وأقرر هنا أنها ولدت كما سيتضح من خلال البحث الأنثروبولوجي اللغوي في أمريكا، ومن خلال مدرسة فيرث الإنجليزية المتأثرة برؤى مالينوفسكي الأنثروبولوجي، وتطورت هذه الأفكار لدى الباحثين في أنثوجرافيا التواصل وبخاصة عند اللغوي الأمريكي الكبير ديل هايمز **D. Hymes** وتابعيه .

من أوائل الذين أسسوا لهذه السمات اللغوي الأمريكي إدوارد سايبير سنة ١٩٢٧م في مقالة بعنوان [الكلام كسمة شخصية **Speech as a personality trait**]^(٢) فيه يميز سايبير بين الصوت والكلام، فالصوت هو حركة تعبيرية **Expressive Movement** ، كما أنه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة مثل: درجة الصوت **Pitch** ، والإيقاع **Rhythm** ، وحدة الصوت **Intensity** ، والتضخيم **Inflection** ، وجهازة الصوت **Volume** ، والسائق الصوتي **Vocal Mannerisms** ، فالصوت باختصار الصيغة الظاهرة للتعبير الصوتي، أما الكلام فبوجهة نظر أخرى محتواه هو الموضوع الرئيس للنص، يشتمل على المفردات المستعملة، اللغة أو اللهجة المتكلمة، البناء النحوي للجملة وطريقة التركيب، من كل هذا تتكون خصوصية الكلام^(٣) .. ومن خلال مقاله نخلص إلى أننا نعيش في كل يوم ونحكم على أي شخص من خلال ما قاله، ومن خلال انتسابه الثقافي، ومن خلال الملامح الصوتية الشخصية^(٤).

(١) د. كريم حسام الدين، ١٩٩١م ، ص ٢٩، نشير إلى أن عملية تواصل البشر داخل المجتمع يمثل التواصل اللغوي ٤٠% من عملية التواصل، أما التواصل غير اللغوي فيمثل ٦٠% من حجم عملية التواصل، ومن هنا نعرف أهمية التواصل الإنساني، والدور المهم للتواصل غير اللغوي في الحياة الإنسانية، وكذلك الارتباط الوثيق بين التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، ونعرف كذلك تعدد قنوات التواصل. انظر: كتاب د. كريم السابق، ص ٣٠ .

(٢) طبع هذا البحث سنة ١٩٢٧م ، ثم طبع مرة أخرى في كتاب محرر من قبل اللغويين **J.Laver** and **S.H. Hutcheson** ، وطبع في سلسلة **Penguin Books** في سنة ١٩٧٢م ، وهي التي اعتمدت عليها .

(٣) **E. Sapir, 1927 = 1972, P. 71-72.**

(٤) انظر توضيحات أكثر عن رؤية سايبير في المقال التالي : **G.W. Allport and H.Cantril, 1972, P. 156.**

كما أن سايبير يشير إلى أنه من خلال الإنسان تنقل تعبيرات، لكن نادراً ما نقف لتحليل هذه الظاهرة من السلوك، فهناك عدد من الأنواع المختلفة من الصوت، ويقول إنه في أساسيات صوت الإنسان يمكن استشفاف معاني كثيرة عنه، يمكن استشفاف أنه عاطفي أو قاس (١). كما يقرر أن الصوت مميز أكثر لعدد عظيم من الاختلافات السلوكية التي يصفها مع الصوت ويعطيها نوعيتها الديناميكية، ثم يتكلم سايبير على ما أسماه ديناميكيات الصوت Voice Dynamics ، ومنه التنغيم الذي يراه حقلاً مهماً جداً لاكتشافات كل من اللغوي وعالم النفس، ويزعم أن هناك تنغيماً شخصياً Individual Intonation يراه مهماً باعتباره عنصراً اجتماعياً، وكجزء من الاختلافات الشخصية (٢).

الخلاصة أن الأستاذ سايبير (٣) حاول لفت الأنظار إلى أن الكلام عندما ينطق فهو يحمل في طياته تواصلًا صوتياً من خلال كل السمات التي ذكرها لتحمل مضامين تستحق أن تدرس.

ويأتي بعد سايبير اللغوي الأنثروبولوجي الأمريكي تريجر G. Trager ، الذي يؤكد أن الكل يدرك أن التواصل أكثر من اللغة، ذلك أن اللغة في أدائها مصاحبة بأنظمة تواصلية أخرى، واحدة منها الحركات الجسمية، وأخرى ما يسمى بالأصوات والضوضاء فوق اللغوية Extralinguistic Nouses - Vocalization (٤).

كما أن تريجر يرى أن كل ثقافة هي تفاعل قائم على التواصل، وأن التواصل هو نتيجة مركبة من كل أنظمة التواصل التي تحدث في مركب ثقافي كلي، وأن اللغة توصف هنا - عنده - على أنها نظام ثقافي يستخدم عدداً من الضوضائيات الناتجة من خلال الأحبال الصوتية (٥).

(١) E. Sapir, 1972, P. 75.

(٢) I bid, P. 76.

(٣) يشير الأنثروبولوجي الأمريكي بيردوسل إلى أن السمات الخاصة بما يسمى Paralanguage بدأت بعدد من الكتب في القرن التاسع عشر إلا أنه يذكر أن أهم من كتب في هذا المجال هو إدوارد سايبير. انظر عرضاً قوياً لتاريخ البحث في هذه الظاهرة في البحث التالي : Birdwhistell, 1972, P.82-99 .

(٤) G. Trager, 1964, P 275.

(٥) I bid, P. 275.

هذه الرؤية للغه مهمة في تصور تريجر الكامل للتواصل؛ ذلك لأنه يرى عندما نستعمل اللغة فإنها تأخذ مكاناً كحدث الكلام، فالكلام يحدث نتيجة للأنشطة التي تصنع كخلفية تنقل صوتياً، هذه الخلفية - في تصور تريجر - تشمل التشريح الخاص بالمتكلمين والناقل الفيزيائي الكلي . هذا في المنطقة التي أسماها **Perlinguistics** ، ومقابل هذه الخلفية يوجد ثلاثة أنواع من الأحداث المستخدمة في الجهاز الصوتي ، اللغة كما وصفت، أما النوع الثاني فهو الضوضائيات الأخرى المتنوعة التي ليست من بنية اللغة، والتي يسميها التصويب، أما النوع الثالث فهو التكييفات لكل من الضوضائيات **noises** الأخرى والتي يسميها نوعيات الصوت **Voice Qualities** . هذان النوعان الأخيران - عملية التصويب - ونوعيات الصوت معاً يسميهما بالمصطلح **Paralanguage** ^(١)، بمعنى السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي ^(٢).

وتأخذ هذه الظاهرة مكانها من البحث في المدرسة الإنجليزية، والتي يتركز تفردا عن غيرها من المدارس اللغوية بعنصرين مهمين منتجين من هذه المدرسة الإنجليزية وهما ما تسميه هذه المدرسة بالتحليل البروسودي ^(٣) للأصوات، والثاني هو ما أسماه رائدهم فيرث بسياق الحال **Context of Situation** ، وهذان العنصران مهمان في تحليل الظاهرة التي بين أيدينا الآن، وأبدأ بتحليل رؤيتهم للعنصر الأول.

(١) I bid, P. 276.

(٢) توجد دراسات لهذه المفاهيم مطبقة على بعض الثقافات، ومنها دراسة ماري هاس M.R.Haas التي وجدت عدداً من الاختلافات بين كلام الرجل وكلام المرأة في لغة Koasati في جنوب غرب Louisiana ، فنطق المرأة يتسم بالسهولة والبطء والنعمية، وللمزيد انظر بحثها M.R. Hass, 1964, P. 229.

(٣) ارتضينا اقتراض هذا المصطلح وتعريبه كما فعل د. أحمد مختار عمر - رحمه الله - في كتابه [دراسة الصوت اللغوي] . انظر: ص ١٨٦ ، ٢٠١ - ٢٠٢ من كتابه، وذلك بسبب عدم تكافؤ المصطلحات العربية المقترحة وغموضه، حيث اقترح د. محمد علي الخولي مصطلحين، هما: فونسيم فوق قطعي، وسمة فوق قطعية، انظر معجمه: معجم علم اللغة النظري. وأشير إلى أن مصطلح **Prosody** كما يذكر بالمر أن أول استعمال له بالمعنى العلمي المناسب مع هذه النظرية على يد فيرث، وكان أول من عالج معالجة صريحة لنظرية البروسودي. انظر: إضافات أكثر في بحث بالمر التالي: F.R. Palmer, 1972, P. 181 .

طرحت نظرية التحليل البروسودي من خلال اللغوي الإنجليزي فيرث J.R.Firth^(١)، وعززت بتطبيقات لهذا المنهج من خلال تلاميذه ، ومن ثم تطورت هذه النظرية.

ومن خلال فيرث وتلاميذه ليضم التحليل البروسودي أجزاء الجملة، ويضم بروسودي الجملة [التنغيم] ، وطول الصوت، والنبر، والعلاقات النغمية بين المقاطع، وبروسودي أجزاء المقاطع، مثل: السمات الصوتية النَّسِيَّة Aspiration ، والارتدادية Retroflexion ، والانفجارية Plosion ، وغيرهم من الصفات ، والوحدات الصوتية وتقسيماتها المتعددة من خلال مخارجها وصفاتها^(٢).

(١) مرت تحليلات فيرث لنظرية البروسودي بمراحل بدأت بمقالين، أحدهما صدر في سنة ١٩٣٥، والثاني في ١٩٣٦، وتطورت تحليلاته أكثر في مقاله: الأصوات والبروسوديات Sounds and Prosodies ، والذي نشر سنة ١٩٤٨، لكن اللغوي إلى فيشر Eli Fischer يراه غير واضح في هذه الأبحاث، ويرى أن أبحاث تلاميذ فيرث من أمثال روبنز Robins ودينين Dinneen ، وبالمر Palmer زودتنا بمقدمات جيدة عن مدرسة البروسودي، وبعدد من التطبيقات المعتمد للنظرية بلغات مختلفة شرقية وأفريقية. انظر تفاصيل أكثر في بحث فيشر التالي : Eli Fischer. Jorgensen, 1970, P. 60. -، إلا أن رؤية روبنز ترى أن أبحاث فيرث في هذا المجال كان لها أهداف منها السياقات الصوتية العامة وأنواعها، ووصف المقاطع الأحادية، وتوضيح الملامح الصوتية الخاصة بالنغم ودوره كملح مميز في بعض اللغات، كما يؤكد روبنز أن فيرث في بحثه ١٩٤٨ يصرح بتشيده على أن الملامح الصوتية تخرج من السياق ككل، وليس من خلال الأصوات أو المقاطع أو الكلمات - كما كان يتصور دانييل جونز D. Jones أن الملامح الصوتية كلها تؤخذ من خلال الكلمة - ، ففي تصور فيرث الظواهر الصوتية متعلقة بالكلمة والمفصل والجميلة، والجمال ككل حيث تصاغ الملامح البروسودية. انظر في ذلك :

R.H. Robins, 1973, P. 262 .

(٢) R.H. Robins 1973, P. 367.

نشير هنا إلى أن منهج فيرث وتلاميذه يختلف عن المنهج الذي انتهجه الباحثون الأمريكيون في تناولهم هذه الملامح الصوتية، فمن خلال بحث هوكيت Hockett 1942 عن منظومة في علم الأصوات الوصفي، وقد عالج فيه السمات البروسودية من خلال ما أسماه Supermentals - فوق التركيبية، وهاريس Z.Harris في بحثه 1944 عن المكونات المباشرة المترامنة في علم الأصوات، هو أول من عالج ما يسمى بالمكونات الطويلة في التحليل الصوتي الأمريكي، وهناك هوجن E.Haugan, 1949 في بحثه phoneme or prosodeme - وحدة صوتية أو وحدة بروسودية، فإن ما يسمى عند الأمريكيين Supersegmental - فوق التركيبية يسمى عند فيرث بالبروسودي Prosody ، كما أن جوهر البروسودي عند فيرث هو النبر والنغم وطول-

الذي نريده من هذا العرض أن التحليلات البروسودية التي قامت على يد فيرث وتلاميذه قد أفادت في ملاحظة الظاهرة التي نحن بصددنا، فعملية التصويت وغيرها من العمليات التابعة للكلام قد لوحظت صوتياً أكثر من خلال هذه المدرسة، وقد أضافت هذه المدرسة عنصراً آخر مهماً في دراسة هذه الظاهرة ثقافياً، ألا وهو سياق الحال Context of Situation^(١).

إن فكرة سياق الحال قد أضافها الأنثروبولوجي مالمينوفسكي، وبها أضاف فكر سياق الحال إلى النظرية اللغوية، وعالج معنى الكلمة بواسطة إرجاعها إلى السياق الثقافي المستخدمة فيه، ووضح علاقة اللغة بالثقافة، وعلم اللغة بالأنثروبولوجي^(٢)،

=المقطع، أما في المنهج الأمريكي فالنبر ودرجة الصوت Pitch وحدات صوتية فوق تركيبية، وطول المقطع خارج إطار النظام الفونيمي عند الأمريكيين. ويلخص لاينز الفروق بين المنهج الفونولوجي الأمريكي والمنهج البروسودي الإنجليزي في فرقين رئيسين:

الأول: المحلل بالمنهج الفونولوجي الأمريكي ينظم المعطيات الصوتية، بينما البروسودي يصف المعطيات الصوتية فوق سلسلة بخط مستقيم من الوحدات الصوتية القطعية، بينما المحلل بالمنهج البروسودي الإنجليزي يصف المعطيات بمصطلحين مختلفي العناصر ، هما: الوحدات الصوتية Phonemic Units والبروسوديات Prosodies .

الثاني: البروسودي مختلف عن صاحب المنهج الفونولوجي الأمريكي في أنه لا يقيم بياناً مفصلاً عاماً من الوحدات الصوتية للغة، فهو واصف لعدد من الأنظمة الثانوية كل منها متعلق ببنى صوتية مختلفة... هذه الاختلافات ربما تكون ملخصة بقول مفاده : أن النموذج الفونولوجي وحيد البعد Unidimensional ، وأحادي النظام Monosystemic ، أما البروسودي فله بعدان، ومتعدد الأنظمة Polysystemic . انظر بحث لاينز التالي: J. Lyons 1972, P. 230 .

(١) يشير فيرث إلى أن مصطلح Situation لم يكن مالمينوفسكي أول من استخدمه، وأن الألماني وجنر P. Wegener أول من استخدمه سنة ١٨٨٥م ، ومنه استعاره مالمينوفسكي وجاردنر، انظر بحث فيرث J.R. Firth, 1957, P. 177 ، ولكن فكرة السياق هذه فكرة مالمينوفسكي، كما يشير جيرمان، انظر حول هذا المصطلح وتاريخه الفصل الأول والثاني من كتاب اللغوي الفرنسي جيرمان التالي: C.German, 1973, P. 9-51 .

(٢) انظر بحث فيرث: التحليلات الأثنوجرافية واللغة مع الإشارة إلى رؤية مالمينوفسكي، ضمن المقالات التي جمعها بالمر وحررها في كتاب واحد سنة ١٩٦٨م - J.R. Firth 1968, P. 137 .

ويشير كلود جيرمان C. German إلى السياق كما استخدمه مالبينوفسكي في مقاله مشكلة المعنى جعل السياق اللغوي شاملاً لكل من :

- معرفة البنية العامة للغة .

السياق - المعرفة اللغوية للكلمة .

- المعرفة فوق اللغوية والتي تشمل على : - معرفة سياق الحال .

- المعرفة الاجتماعية والأنثربولوجية (1).

وتطورت فكرة السياق هذه على يد اللغوي فيرث، فأصبح ما يسمى بسياق الحال أساساً لنظرية المعنى، وجزءاً مهماً من نظرية اللغة في هذه المدرسة (2)، فقد أخذ فيرث فكرة السياق من مالبينوفسكي وأضاف إليها، حيث اهتم بالخلفية الثقافية للغة، وبنى نظريته اللغوية، وهو القائل بأن كل علم اللغة في دراسة المعنى، والمعنى كائن في وظيفة السياق (3).

ومن هنا فقد كان مفهوم سياق الحال عند الأنثربولوجي مالبينوفسكي مصدراً مهماً لنظرية اللغة في مدرسة لندن اللغوية، وبه يضيف إضافة قوية إلى الإحساس بالظاهرة التي نحن بصدددها، والتي تعتمد على الفهم الكامل للثقافة المراد تحليل الظاهرة فيها، وأيضاً سياقاتها.

من خلال هذين العنصرين المهمين في المدرسة اللغوية الإنجليزية بدأ اللغويون في ملاحظة ودراسة الظاهرة المسماة Paralanguage ، وفي الصفحات التالية عرض موجز لبعض الدراسات لهذه الظاهرة.

(1) C. German, 1972, P. 123.

(2) R.H. Robins, 1971, P. 33.

وفي بحث روبنز هذا والمعنون بقوله : مالبينوفسكي ، فيرث وسياق الحال يرى أن النقاط الأساسية لنظرية السياق عند مالبينوفسكي في الآتي: أن النظرة القديمة للغة على أنها أداة للفكر ، هذا التعريف عديم القيمة تماماً، فاللغة حسب مالبينوفسكي سلوك فعال مثل باقي الأنشطة الاجتماعية الأخرى، وليست وعاءً للفكر، كما أضافت نظريته أن الكلام لا يفهم من خلال عملية التصويت فقط، بل السياق اللغوي يساهم في هذا من خلال التاريخ والوضع النفسي لكل من المتكلم والمخاطب، انظر بحث روبنز السابق الذكر P. 34-35 .

(3) M.A.K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1986, P. 8.

من أهم الذين درسوا هذه الظاهرة عالم اللغة الإنجليزي ديفيد إيركرومبي، وقد أفاض في توضيح وتفسير هذه الظاهرة في كتابه الذي ترجمه إلى العربية د. محمد فتوح - رحمه الله - : مبادئ علم الأصوات العام، في هذا الكتاب يوضح في الفصل الأول اللغة وعلاقتها بالوسط، فيشير إلى أن اللغة تنقل بوسطين إما منطوقة أو مكتوبة، المنطوق والمكتوب ينتميان إلى اللغة نفسها، لكن يتضمنان في وسطين مختلفين، يتركب أحدهما من أشكال [المكتوب] ، والآخر من ألوان من الضوضاء [المنطوق] (١).

ومن هنا فمن الممكن للغة نفسها أن تنقل عن طريق وسطين مختلفين، ويواصل كلامه قائلاً : " إن ما فعله عند تمييز اللغة من الوسط هو الفصل بين النموذج وتجسيده المادي المستقل عنه بمعنى ما، فيمكننا أن نقول: اللغة شكل وقالب في حين أن الوسط مادة " (٢).

كما يشير إيركرومبي إلى أن للوسط بالإضافة إلى ماله من خاصية تتعلق بإمكان تشكيل النماذج القادرة على حمل اللغة، فإن الوسط له خواصه الذاتية المستقلة أيضاً، فالأوساط - حسب إيركرومبي - لا يبتكرها النشاط الإنساني فقط، بل تترك أيضاً على الكلمة المكتوبة والمنطوقة طابع الشخصية التي خلقتها، فمعظم ما يؤسس من نشاط بشري يظهر بشكل غير مباشر أموراً كالحالة النفسية والمركز الاجتماعي والأصول الجغرافية، وهلم جرا .

و " للوسط اللغوي خاصية صنع هذا؛ فهو ليس لغة في نفسه، بل مركباً للغة .. ، فضمن وجوه الوسط المستحقة للبحث على سبيل المثال الطريقة التي ينظم بها في نماذج ليقوم بوظيفة حامل اللغة، وخصائصه المادية والجمالية، وعلاقته بالأوساط الأخرى وباللغة التي يحمل، ونوع الحركات الجسدية التي يتضمنها إنتاجه، والمدى الذي يذهب إليه في قيامه بدور الدلالة على خصائص الشخص الذي يحقق الحركات الناتجة " (٣).

(١) ديفيد إيركرومبي ١٩٨٨م، ص ٧ .

(٢) السابق ص ٩ .

(٣) السابق ص ٨ .

كما يشير إلى أن كل الأوساط تشترك في شيء واحد، وهو أنها تتوسط بين منتج اللغة ومستقبلها، ولهذا يرتبط بكل منها نوعان من النشاط الإنساني : النشاط المنتج الذي ينشأ عنه الوسط، والنشاط المستقبل الذي به يُدرك (١).

ثم يفصل خصائص الوسط : ويسمى الخصائص الإشارية (٢) **Indexical Properties** مقررأ أن أهم ما يمتلكه الوسط من خصائص هو إمكان تشكيله من نماذج، في المكان أو الزمان، معقدة ومتنوعة بصورة تكفي لحمل اللغة، كما يقرر أن الوسط ليس موضوعاً مادياً أوجده نشاط إنساني، رانياً أنه ينجم عن هذه الحقيقة بعض خصائص الوسط فوق اللغوية الأعظم إثارة، التي تستطيع أن تقوم بدور مؤثر في التواصل الإنساني، قائلاً : " إننا عندما نقابل قوماً لأول مرة ينبنو ما نكونه من آراء حولهم إلى حد كبير جداً على ألوان الحركات التي يصنعونها حين يتكلمون ويأكلون ويستخدمون الإشارة للتعبير ... إننا نفسر طرقهم الاعتيادية المألوفة في صنع الحركات على أنها مفاتيح لنوع الجماعة البشرية التي يمثلونها .. وما يفعله الناس من ألوان الحركات لأغراض الحديث والكتابة يقدم أيضاً مفاتيح من النوع نفسه، وإن كنا في هذه الحالات لا نأخذ المفاتيح من ملاحظة الحركات الفعلية نفسها، بل من الشيء المصنوع الناتج، أي من الوسط؛ فهو يحتفظ في شكله المادي بخصائص الحركات التي توجده، أو الإشارات " (٣).

ويرى أنه من الممكن أن تسمى العلامة التي من هذا النوع إشارة **an index** ، كما يمكن أن تسمى خصائص الوسط إلى إشارات كذلك " الخصائص الإشارية " **Indexical Features** بوصفها متميزة عن خصائصه اللغوية **Linguistic Features** .

كما أنه يعد بعض الخصائص الإشارية الموجودة في كلام شخص ما أو في خطه مكتسبة أي متعلمة من آخرين، ومن ثم يجب أن يشتركوا فيها، على حين أن بعضها الآخر ليس بمتعلم، ومن ثم فهو فردي شخصي، زاعماً أن من بين الخصائص

(١) السابق ص ٩ .

(٢) ترجمها د. فتية هكذا، وربما تكون ترجمتها بالخصائص الدلالية أقرب إلى ما يريد إبركرومي.

(٣) إبركرومي ١٩٨٨ م ، ص ١٣ .

الأولى يشترك فيه أناس قليلون، وآخر تشترك فيه مجموعات كبيرة، وثالث تشترك فيه أمم برمتها، بل تجمعات أكبر من التجمعات القومية (١).

كما يرى أن تقسم الإشارات الموجودة في نطقنا إلى ثلاثة أنواع، طبقاً لنوع ما تدل عليه :

[أ] الإشارات الدالة على الانتساب:

ويتضمن هذا - حسب إيركرومبي - نطق كل المتكلمين في اللغات جميعها إشارات محلية، يشترك في هذه الإشارات أعضاء الجماعات التي تعيش في منطقة ما، كما تدل هذه الإشارات في بعض أجزاء من العالم دلالة دقيقة جداً على المكان الذي تربى فيه الشخص (٢).

[ب] الإشارات المميزة للفرد:

الإشارات التي تميز الفرد ويمكن أن تسمى الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر التليفون أو في الكلام مثلاً، كما أنها لا تُستعمل من الآخرين في العادة؛ فكثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم وإشارات الجنس والسن التي يتضمنها الكلام من هذا النوع، وكذلك آثار التشوه الخلقي .. واللغات ، ونظائرها من عيوب الكلام (٣).

[ج] الإشارات الكاشفة لحالات التكلم المتغيرة:

هذه الإشارات يمكن أن تخبر عند شخص ما دون النظر إليه ما إذا كان يتكلم بملء فمه أو لا ، وهذه الإشارات لا توجد دائماً في نطق شخص ما، بل تروح وتجيء طبقاً لحالته المادية والمعنوية. وهناك إشارات أخرى من هذا النوع ترتبط بحالات التعب والإثارة والزكام والعم والإفراط في شرب الخمر والقلق، ومن الطبيعي أن تتولد بعض الإشارات أتوماتيكياً عن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق (٤).

(١) السابق ص ١٤ .

(٢) السابق ص ١٦ .

(٣) السابق ص ١٧ .

(٤) السابق ص ١٨ .

كما يشير إلى الخصائص الجمالية، التي هي من خصائص الوسط، ومن أمثلة ذلك نطاق الوسط أي حجم الأشكال أو درجة الصوت^(١)، مشيراً إلى أن الشعراء استغلوا في اللغات جميعها خصائص الوسط الموسيقية، والتي هي كثيرة، منها الإيقاع وتنوع طبقة الصوت^(٢).

ثم يفصل القول في الفصل السادس من كتابه عن العناصر الأساسية في الوسط الشفوي مقررأ أنها عنده مجموعات ثلاث، كالآتي:

[أ] الخواص القطعية:

ويصفها بأنها تتكون من سمات سمعية معقدة في حالة من التذبذب السريع تعكس سرعة تعاقب حركات المصوتات، والخواص القطعية أيضاً هي ما تكون بوضع التساؤل عندما نقول إن شخصاً ما يمتلك صوتاً واضحاً^(٣).

[ب] خواص نوعية الجهر:

وهو يقصد بالجهر هنا ليس الصوت الناشئ عن التصويت، أي تذبذب الأوتار الصوتية، بل يقصد شيئاً أعم من ذلك بكثير " نعم هناك كثير من مكونات الوسط التي تقع تحت العنوان: " خواص نوعية الجهر " عندما نُسِرُ بشيء أي عندما يكون الجهر بمعناه الصوتي الدقيق مختلفاً تماماً، بل إن بعض هذه الخواص يتحقق عندما نسعل فقط أو نتنهد أو نتنحج؛ فالمصطلح " نوعية الجهر " يشير إلى هذه الخواص الموجودة تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص " ^(٤).

[ج] خواص دينامية الجهر:

ويراها الخواص المعنية التي يسيطر عليها المتكلم، ومن ثم من الممكن تعلمها، كما ينزع الناس للسبب نفسه إلى تقليد الآخرين فيها، وهي - حسب إبركرومبي قادرة على تمييز الطوائف الاجتماعية والأفراد كليهما، ويمكن النظر إلى هذه الخصائص تحت العناوين التالية^(٥):

(١) السابق ص ١٩ .

(٢) السابق ص ٢١ .

(٣) السابق ص ١٣٨ .

(٤) السابق ص ١٣٩ .

(٥) السابق ص ١٤٤ .

- ١- الجهارة Loudness .
- ٢- سرعة الإيقاع Tempo .
- ٣- الاستمرارية Continuity .
- ٤- الإيقاع Rhythm .
- ٥- المجال الطبقي Tessitura .
- ٦- النغمة Register .
- ٧- تذبذبات طبقة الصوت Pitch Fluctuation .

هذا التحليل المستفيض يكون الافتتاح لدراسات أخرى في المدرسة اللغوية الإنجليزية، فمثلاً يختار ليفير J. Laver نوعية الجهر وعلاقتها بالمعلومات الدلالية Voice Quality and Indexical Information ، ويذكر أنه اختار نوعية الجهر من خلال ما أسماه بالمعلومات البيولوجية Biological Information ، ويذكر أن هذه العملية يدخل فيها عدد من أعضاء الجهاز الصوتي، كما أن عملية التصويت متوقفة على صفات هذا الجهاز الصوتي^(١).

كما يذكر أن هناك ربطاً بين حجم الشخص وطبيعته وحجم حنجرته والأحبال الصوتية، فلو سمعنا صوتاً عميقاً جداً في الهاتف نتوقع بثقة أن المتكلم رجلاً كبيراً قوياً، فمن خلال الصوت نأخذ انطباعات عن جنس وعمر المتكلم، كما يشير إلى انطباعات أخرى يحدث من خلال الصوت وهو الحالة الصحية للمتكلم، ويضرب مثلاً لذلك يربط فيه بين المتكلم بهمس والصحة الضعيفة، وبين ما يسمى بالأصوات الصاخبة العميقة والصحة الجيدة^(٢).

كما يشير إلى أن نوعية الجهر تمدنا بدلالات نفسية قائلاً: " بأننا نرى كسمعين إلى استنتاجات من نوعية الجهر من خلال الملامح النفسية لأي متكلم، ففي تقييم الشخصية نحن مستعدون في الثقافة الغربية للاعتقاد أن أي صوت أجش مرتبط أكثر باللامح العدوانية والسيطرة الدكتاتورية ، وأن صوت الهمس مرتبط أكثر بالصوت المتواضع والمطيع والشخصيات الحليمة^(٣).

ويأتي اللغوي الإنجليزي ديفيد كريستل D. Crystal ليشارك في هذا المضمار من خلال بحثه المتعلق بالبروسودي والسمات المصاحبة للغة وعلاقتها بالطبقات

(١) J. Laver 1972, P. 190 .

(٢) I bid, P. 196 – 197 .

(٣) I bid, P. 198 .

الاجتماعية، يشير في البداية إلى أن المظاهر الصوتية غير القطعية non-Segmental للملفوظ، هذه الملامح عولجت بندرة⁽¹⁾، كما يشير إلى أهمية الأبحاث الخاصة بآثولوجرافيا التواصل، فهي تبرهن على نقلة أخرى في الاتجاه الصحيح، فهائمز يؤكد بوضوح كبير إلى الاحتياج إلى تطور آثولوجرافيا الكلام لتعريفها لخصوصية أنواع ثلاثم القول مع أنواع السياقات⁽²⁾.

وتحاول دراسة كريستل أن تتخذ من الملامح غير القطعية [n-s] في السياق الأنثروبولوجي الاجتماعي لربما تكون معروفة من خلال الأنثروبولوجيين واللغويين، وربما هذا يساعد في توضيح طبيعة هذه الملامح، ويخلص إلى أن هذه الملامح متعلقة ودالة على معلومات منها الجنس والعمر ومكانة الإنسان، والتعاون والوظائف، وقد أعطى عدداً من الأمثلة المرجعية من الإنجليزية تؤكد نوعية المعلومة المتضمنة⁽³⁾.

من كل هذه الدراسات التي قدمناها تقرر الآتي:

- حدث تمييز بين الكلام Speech والصوت Voice من خلال الرائد سابير، ذلك أن الصوت حركة تعبيرية، وأنه ملفوظ شخصي مركب من عوامل معقدة، باختصار هو الصيغة الظاهرة للتعبير اللغوي. أما الكلام يشمل المفردات المستعملة واللغة أو اللهجة المتكلمة، والبناء النحوي وطريقة التركيب، من هذا كله تتكون خصوصية الكلام .

(1) D. Crystal, 1972, P. 185.

(2) I bid, P. 187.

(3) I bid, P. 188- 189 .

وأشير هنا إلى أن كرامر Kramer قد قام بتحليل معلمي للأصوات ليحاول أن يثبت أو ينفي العلاقة بين الصوت والشخصية، خلص منه إلى أنه لا توجد علاقة بين الصوت والشخصية، لكنه يشير إلى أن هناك من يلاحظ من خلال الخبرة العامة تحصل صلات بين الصوت والشخصية. انظر بحثه التالي : E. Kramer, 1972, P. 184 .

ويخلص كل من G.N. Allport and Cantril في بحثهما 1972 إلى أنهما وجدا استنتاج الشخصية يرسم من خلال كلامهم، وأن شخصياتهم متلائمة مع أصواتهم أكثر من أي سمة فردية . انظر بحثهما . 1972, P. 156 .

- تتطور هذه الأفكار عند إيركرومبي ليدرس هذه الظاهرة Paralinguage ليفرق بين الوسط واللغة معتبراً هذه الظاهرة هي الوسط في حالة اللغة المنطوقة، ويتوسع في دراسة هذه الظاهرة التي أفرد لها فصلين [الأول، والسادس] من كتابه ١٩٦٧ [مبادئ علم الأصوات العام]، وما يهمننا هنا أنه جعل لهذه الظاهرة دلالات هي كالآتي:

[أ] دلالات على الانتساب إلى طائفة من الناس.

[ب] دلالات مميزة للفرد .

[ج] دلالات كاشفة عن حالات المتكلم المتغيرة (١).

(١) إيركرومبي ص ١٦ . ونذكر هنا أن هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التواصلية أخذت رؤية أخرى من خلال البحث في إثنوجرافيا التواصل Ethnography of Communication وبخاصة عند رائد هذا المجال الأمريكي ديل هايمز D. Hymes ، فقد بنى رؤيته لهذا المنهج على أن الكلام يتمركز أو يتحدد نظامياً داخل سياقه الثقافي - الاجتماعي، ففي بحثه 1968 عن إثنوجرافيا الكلام ركز على أهمية الدور الاجتماعي في عمليات التواصل، وفي تحديده للخصائص المميزة للسياق التي لها قيمة في تحديد أنماط الأحداث الكلامية، حيث ركز على:

- ١- الأشخاص المشاركون في الحدث الكلامي .
- ٢- الموضوع الذي يتكلمون فيه .
- ٣- الطرف ويقصد به السياق الزماني والمكاني .
- ٤- وضع الجسم عند الأطراف المشاركة .
- ٥- القناة، باللفظ أم بالكتابة أم بالإشارة ... إلخ .
- ٦- الشفرة [اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل] .
- ٧- صيغة الرسالة [حديث عابر غير رسمي أو مناظرة أو خطبة أو حكاية شعبية أو قصيدة .. إلخ] .

٨- طبيعة الحدث التواصلية هل هو خطبة أو دعاء .

٩- الطابع ، هل كانت خطبة جيدة أم لا .

١٠- الغرض [الذي يريده المتواصلون] .

انظر توضيحاً أكثر في : D. Hymes 1968, P. 99, 109 - 115 .

كما نذكر أن هايمز يرى أن تعريف تشومسكي للقدرة اللغوية Competence تعريف ضيق لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم اقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية، ذلك أنه يرى أن القدرة اللغوية مقدرة عقلية للشخص، وأن القدرة تعتمد على المعرفة وعلى مهارة الاستعمال في التواصل. انظر تفصيلات أكثر في بحثه التالي. D. Hymes, 1972, PP. 269-293 .

ومن خلال هذه المفاهيم سوف أحلل هذه الظاهرة ودلالاتها في ثلاث من روايات الأستاذ نجيب محفوظ الذي لاحظت أنه يركز على هذه السمات الصوتية في رسم صور أبطاله، وثقافتهم بما تحتويه كلمة ثقافة من معاني أنثروبولوجية، وحتى يتضح الأمر أذكر ما قاله إيركرومبي من أن الأستاذ هيجنز H.Higgins بطل بيجماليون كان متخصصاً في تحديد أماكن الناس بالاعتماد على لهجاتهم^(١)، بمعنى أن المؤلف يرسم من خلال أبطاله كثيراً من الظواهر التي أمامنا، ومن ذلك ما يذكره د. كريم حسام الدين من أننا يمكن أن نقف على مثل هذه السمات الصوتية التي تميز المتكلمين دلالة هذه السمات في الأعمال المسرحية والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية والقصص والروايات الأدبية، وقد مثل لذلك بمقتطفات سريعة من ثلاثية الأديب المعاصر نجيب محفوظ تصور السلوك الصوتي للسيد أحمد عبد الجواد بطل الثلاثية وزوجته ربة البيت من مثل قوله:

- " وقف الحنطور أمام البيت وارتفع صوت زوجها وهو يقول في نبرات ضاحكة استودعكم الله ... " (٢).

- " السيد عبد الجواد: مساء الخير يا أمينة .

- فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع: مساء الخير يا سيدي " (٣).

- " ... ومضت أمينة إلى الأب فزفت إليه البشرى بنبرات رقيقة مهذبة مبالغة هذه المرة في حياتها وتهذيها " (٤).

= ومن هذا نصل إلى أنه تحول مع هذه الدراسات الاهتمام باللغة بنية ودلالة منفصلة عن سياقها إلى الاهتمام باللغة في سياقها مع الأنظمة التواصلية الأخرى التي تتكاتف مع اللغة للوصول إلى ولوج دلالة كاملة للحدث التواصلية .

(١) إيركرومبي ص ١٦ .

(٢) انظر د. كريم حسام الدين ١٩٩٢م ، ص ٨٣ وما بعدها، وكذلك بين القصرين لنجيب محفوظ

ص ١٠ .

(٣) بين القصرين ص ٨ .

(٤) السابق ص ٢٤٩ .

ومن هنا فإن الوسط بمفهوم الأستاذ إيركرومبي يكون هو الشخص المستخدم للغة الموجودة لدى مجتمعه، هذا الوسط أو هذا الشخص ينتج اللغة حسب خواص شخصية، ومن هنا يأتي الاختلاف، فمن خواصه الشخصية يظهر جنسه وعمره وحالته الصحية والنفسية وانتماؤه الاجتماعي وثقافته في استخدام هذه السمات. كما أن هذه الظاهرة وإن لم توصف وصفاً علمياً في مجتمعات كثيرة إلا أننا نلاحظ أن كل ثقافة لها سمات خاصة في الاستخدام في التفاعل مع الأصوات، ولهذا هناك تقنين داخل كل ثقافة لاستخدام الأصوات أو قل استخدام الوسط الحامل للكلام، ومن ذلك نجد في الثقافة الإسلامية رفضاً لعلو الصوت، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ^(١)، وبالتالي فكل ثقافة لديها تقنين لاستخدام الوسط الذي هو الوسط الحامل للكلام .

(١) سورة لقمان: الآية [١٩] .

ثانياً : الدراسة التطبيقية، دلالة السمات شبه اللغوية المصاحبة لسأداء

الكلامي، وتحتوي على العناصر التالية :

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها، وتحتوي على:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها.

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ، ودلالاتها.

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى طائفة معينة.

[٢] دلالات الأصوات غير الكلامية [الفضلات الصوتية ، مثل: الضحك،

والبكاء، والصراخ، والتأوه، والغمغمة].

كل هذا من خلال مادة البحث، روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة

الحرافيش، الشحاذ، السكرية . وأبدأ بالقسم الأول:

[١] السمات الخاصة بالكلام ودلالاتها:

[أ] الإشارات المميزة للفرد، والخاصة بالسمات الشخصية ودلالاتها:

إن الصوت سمة تحدد السمات الشخصية، ويسمىها البعض الإشارات الفطرية، وهي تمكننا من التعرف على الأشخاص عن طريق الصوت وحده عبر الهاتف أو في الظلام مثلاً، كما أنها لا تتعلم من الآخرين في العادة، فحسب إيركرومبي كثير منها يتولد في الواقع مباشرة عن بواعث طبيعية، ولهذا فهي فوق سيطرة المتكلم، وكذلك تتضمن إشارات عن الجنس والسن^(١).

فالصوت يساهم بشكل كبير في تحديد سمات الشخصية التي نسمعها حتى ولو كانت في الظلام أو الهاتف، فإننا نتعرف من خلال الصوت عن جنس المتكلم وسنه، وهذا يرجعه علماء الأصوات إلى أن لكل صوت إنساني بصماته المميزة التي قلما نلتبس ببصمات صوت آخر، ويذكر د. أحمد مختار عمر - رحمه الله - أن في علم اللغة يوجد مصطلح اسمه " التعرف اللغوي " الهدف منه في معظمه هدف عملي وهو القدرة على أن تدل من أصوات لغة منظوقة على نوع اللغة التي تواجهها، كما يشير

(١) إيركرومبي ص ١٧ .

إلى أنه يستغل لتحديد المنطقة اللغوية الصغيرة التي ينتمي إليها المتكلم، لكن على المستوى الشخصي هناك عوامل أخرى تحدد السمات الفردية، ومنها:

١- الخصائص النطقية المعينة الناتجة عن خاصة عضوية في المتكلم كأن يكون هناك تصلب أو ارتفاع في مؤخرة اللسان فينتج الصوت مغرغراً.

٢- يؤدي إلى تمييز الأصوات اختلاف معدن الصوت، والذي قسمه علماء الأصوات إلى معادن خمسة رئيسة.

٣- ويشيرون أيضاً إلى اختلاف الفراغات الرنانة المضخمة للصوت، وهي التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة^(١).

كما أن هناك من يشير إلى ما يسمى بالبصمة الصوتية للجنس، ويرون أن أظهر فرق في صوت الذكر والأنثى البالغين هو "درجة الصوت"، أو التردد الأساسي للتصويت الذي يعتمد على طول الوترين الصوتيين ووزنهما ودرجة توترهما، وقد خلق الله المرأة بوترين صوتيين أقصر وأقل ضخامة وأكثر قابلية للشد من وتري الرجل مما يؤدي إلى زيادة سرعتهم وعدد ذبذباتهما في الثانية، وهذا بدوره يؤدي إلى حدة الصوت.

وهناك عامل ثان يميز الجنسين وهو نموذج الرنين الحادث في التجويف الصوتي فوق الحنجري، فالذكور البالغون - في العادة - يملكون تجاويف صوتية فوق حنجرية أكثر مما تملكه الإناث، ولذا فهم ينتجون حزماً صوتية أخفض، كما أن هناك عاملاً ثالثاً وهو العادات الكلامية لكل جنس، والتي تتبع الثقافة التي اكتسبها^(٢).

إن كل هذه العوامل تصنع فروقاً بين الجنسين، وبين الأفراد في كل من الجنسين، وسوف نرى من خلال التحليلات التي سوف أقدمها إلى أي مدى الصوت يوظف كسمة شخصية للأفراد، وله دلالاته على مستوى الأحداث في الرواية.

(١) انظر د. مختار عمر ٢٠٠٢م، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) السابق ص ١٧١، وانظر الفصل الخامس من كتاب د. أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف

الجنسين ١٩٩٦م، ص ص ١٢٧ - ١٤٣، وانظر الكتاب التالي: Max.K. Adler, 1978,

في رواية ملحمة الحرافيش يوظف الأستاذ نجيب محفوظ هذه السمات في رسم صور لأبطاله تحمل الدلالة التي يريدها، ومن هنا نراه يرسم صورة بطله عاشور قائلاً : "وثمة شبح يقف منه على بعد شبرين يعكر عليه صفوه ويشده إلى عالم القلق، فرغ صوته الأجرس متسائلاً :

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق :

- أخفض صوتك يا بغل ! " (١).

نستنتج من هذه الصورة الروائية أن درويش صوته أجرس، وهذا الصوت من قبل من معه " درويش " صوت غير مقبول، ذلك أن درويش يقول له : أخفض صوتك يا بغل! ، ويذكرنا هذا بروية الصوت الحسن ، والصوت غير الحسن.

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢)، يقول الرازي : " رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام، أمرهم سبحانه وتعالى بأن لا يخاطبوه بجهر كما يتخاطبون فيما بينهم ولا يكثر من الكلام بين يديه احتراماً " (٣).

وتحفظ لنا بعض كتب الأدب تصور العرب لجهازة الصوت، والتي تروي ما يؤكد أن الجماعة العربية كانت تدعو إلى الالتزام بغض الصوت؛ لأنه من علامات الأدب واحترام الغير (٤).

ويواصل نجيب محفوظ في رسم سلوك عاشور الصوتي في الحرافيش قائلاً:

" فصاح بصوته الأجرس " (٥).

(١) الحرافيش ص ١٦ .

(٢) سورة الحجرات : الآية [٢] .

(٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير ١٤ / ١١٢ .

(٤) انظر عرضاً لهذا في كتاب د. كريم ١٩٩٢م، ص ١٢١ وما بعدها .

(٥) الحرافيش ص ٣٤ .

ويقول أيضاً : " فحرك رأسه الكبير بحيرة صامتاً " (١).

نلاحظ هنا أنه يصفه بصاحب رأس كبير، أليس هو بداية فتوات الحرافيش لما له من قوة صوتية وقوة جسمانية، انظر إلى رد عاشور في السياق التالي : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟ ، فقال بغلظة " (٢).

فهو غليظ في سماته الصوتية أيضاً كسماته الجسمية، أليس عاشور الذي يصفه نجيب محفوظ بالقوة في السياق التالي، الذي يرسمه محفوظ كآلآتي : " فنار درويش وصاح :

- ستصير أهدوثة الصغير والكبير ..

فصاحت فلة :

- إنه قادر على حماية ما يملكه .

فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي ...

فتركه وهو يزمرر غاضباً فتهوى درويش على الأرض وهو يصرخ:

- في ألف داهية .. " (٣).

انظر كيف يرسم نجيب محفوظ قوة عاشور التي جعلت درويش يتأوه، والتأوه عملية صوتية لها دلالتها، وكذلك الصراخ، والزمجرة ، وسوف نشرح دلالتها في مكانها من هذا البحث، إلا أنني هنا ما أريد توضيحه ربط قوة عاشور الجسمية بسماته الصوتية، إنه صاحب صوت أجش، ويقول بغلظة، حتى عندما يغضب يقول محفوظ : " وصاح بصوته الأَجَش الباكى " (٤).

(١) السابق ص ٤٧ .

(٢) السابق ص ٤٩ .

(٣) السابق ص ٥٠ .

(٤) السابق ص ٦٨ .

انظر إلى تصوير محفوظ لعاشور بقوله : " ولعل القضاة أعجبوا بعملته، وبصورة الأسد المرسومة في صفحة وجهه، ولم ينس الناس صوته الأجدش " (١).

ولننظر إلى النص التالي الذي يحمل دلالات صوتية مهمة، يقول محفوظ :
وبصوت كالرعد صاح :

- يا درويش !

خيّل إليه أن غصون الأشجار تميد من صوته ، ولكن لم يجبه أحد " (٢).

انظر إلى الصوت الذي كالرعد، إنه صوت قوي لرجل قوي يخيّل إليه من قوة صوته أن تميد الأشجار منه .

هذه الدلالات تتكرر في نص آخر في صورة حوار بين عاشور ومحمود قطايف

- شيخ الحارة - يصور نجيب محفوظ هذا الحوار كالآتي : " أئمة شك في ملكيتي لها ؟

- معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

- أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطايف بصوت منخفض :

- اعتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغرقاً معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريب حتى رفع عاشور صوته

قائلاً .. " (٣).

يوظف نجيب محفوظ صوت عاشور الخشن (٤) كسمة صوتية شخصية لها

دلالتها في الرواية، وانظر كيف أن شيخ الحارة يتكلم بصوت منخفض مع الفتوة

(١) السابق ص ٨٣ .

(٢) السابق ص ٦٩ .

(٣) السابق ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) يذكر إيركرومبي أن الصوت الأجدش يرتبط بصفات نوعية الجهر، ويرى أن نوعية الجهر تستمر تقريباً طوال الفترة التي يتكلمها الشخص، فهذه النوعية أشبه بصفة ثابتة تستمر طوال مدة خروج

الصوت من فمه . انظر: إيركرومبي ص ١٣٦ ، ١٣٩ .

عاشور، وكيف أن عاشور يرفع صوته على شيخ الحارة، وهذا له دلالة كبيرة في هذا السياق الثقافي .

إن نجيب محفوظ يصف لنا الحوار بشكل دقيق يصف فيه الصورة النطقية، والسياق الثقافي، وكل هذا له دلالاته داخل المجتمع الذي يعيشه الأبطال، فهو يصف ويكثف الدلالات حتى يخرج عمله بدلالاته الاجتماعية والتي منها السمات الصوتية حتى يكون العمل دالاً بالمعنى الواسع لهذا المفهوم.

إذا كان محفوظ يرسم لنا صورة عاشور مستعيناً بسماته الصوتية لرسم صورة الفتوة القوي، فإنه أيضاً يستعين بالسمات الصوتية في رسم شخصيات أخرى، ومنها مثلاً السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم شوكت في " السكرية " ، الذي يصف سماته الصوتية بقوله : " فقال عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي " (١)، ثم يصف صوته قائلاً : " فقال عبد المنعم بصوته اليقيني " (٢)، ثم يقول بعد ذلك : " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة بنفسه " (٣)، ويقول أيضاً : " فقال عبد المنعم بصوته القوي ... فقال الصوت القوي " (٤)، و" فقال عبد المنعم وقد ارتفع صوته حتى جعل الشباب الذي يجلس بينه وبين أخيه يردد رأسه بينهما كالمنزعج " (٥) .

إن عبد المنعم بسماته الصوتية هذه قوي الصوت، وتكرر هذه السمة مذكراً المؤلف بسمته جاعلاً منها سمة ملازمة كأي سمة في جسمه مثلاً لتدل من خلال الرواية على اليقين، ألم يصف صوته عالياً بأنه الصوت اليقيني، وكذلك : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بنبرات التوكيد " (٦)، وكذلك : " فقال عبد المنعم بلهجة اليقين التي اشتهر بها " (٧)، وكذلك " عبد المنعم بصوته القوي العميق " (٨).

(١) السكرية ص ٢٨ .

(٢) السابق ص ٣٣ .

(٣) السابق ص ٧٧ .

(٤) السابق ص ١٢١ .

(٥) السابق ص ١٢٥ .

(٦) السابق ص ٢٤ .

(٧) السابق ص ٨١ .

(٨) السابق ص ٢٩٥ .

إن السمات الصوتية الخاصة بعبد المنعم أحد أبطال رواية السكرية يستغلها نجيب محفوظ لرسم صورة هذا البطل، ويؤكد من خلال هذه السمات المحببة في ثقافتنا على ما يذكره في ثنايا الرواية، حيث يذكر : " وكان عبد المنعم قد تبلور طابعه واتجاهه ، فأثبت أنه موظف كفاء و " أخ " نشيط، وقد انتهى الإشراف على شعبة الجمالية إليه فعين مستشاراً قانونياً لها، وأسهم في تحرير المجلة، وكان يلقي المواعظ أحياناً في المساجد الأهلية .. " (١).

إن ما نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ يستغل دلالات السمات الشخصية الصوتية والمقننة في ثقافتنا، فكل سمة لها دلالة، وكل دلالة لها قبول أو عدم قبول في ثقافتنا العربية، وإذا كنا قدّمنا في الصفحات السابقة وصف نجيب محفوظ من خلال رواياته الثلاث المذكورة للسمات التي يتميز بها أبطاله، ومنها السمات الشخصية الصوتية الخاصة بالرجال، فإنني في السطور التالية سوف أقدم وصفه لنطق أبطاله من النساء .

انظر إلى وصفه لكلام امرأة من خلال هذا النص : " فابتسمت في دلال فقال :

- الحب يصنع المعجزات .

فقالت بعذوبة " (٢).

فسمة العذوبة هنا مقرونة بامرأة تبتسم في دلال، ويقول في سياق آخر : "فقالت بنعومة" (٣) إن النعومة سمة خاصة بقول المرأة، ويقول : " وإذا بصوت رفيع حادل يصرخ " (٤)، وهذا الوصف صحيح علمياً ذلك أن حدة الصوت عند المرأة نتيجة لقصر الوترين الصوتيين لديها وأيضاً ضآلتهما، وهذا يسبب زيادة في عدد الذبذبات عند المرأة أكثر من الرجل مما يؤدي إلى حدة صوت المرأة مقارنة بالرجل (٥).

(١) السابق ص ٢٩٤ .

(٢) الحرافيش ص ٣٩٤ .

(٣) السابق ص ٤١٢ .

(٤) الشحاذ ص ٨٦ .

(٥) د. أحمد مختار عمر ١٩٩٦ م ، ص ١٣٢ .

وأيضاً يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو " (١)، الصوت الرفيع هو هنا صوت امرأة، إنه يريد أن يدلل بالصوت الرفيع على امرأة ذات ملامح حسنة، وتتجلى السمات الخاصة بالمرأة في الموقف التالي بين عمر الحمزاوي بطل روايته " الشحاذ " وبين وردة الراقصة إحدى بطلات الرواية، يقول محفوظ : " وقال لها بصدق :

- الحق إنني آسف يا وردة .

فقالته وهي تبتسم ابتسامة غامضة :

- لا يجب أن تأسف على ما فات ..

ثم بنبرة ساحرة :

- وتجربة الحب ثمينة ولو بالعذاب !

فقال وهو يعرض شفثيه :

- لست طبيعياً ..

فقالته بصوت مهموس .. " (٢).

نلاحظ أنه يستخدم صفة ساحرة للنبرة التي قالت بها وردة الجملة، والنبرة هنا بمعنى النغمة التي عليها النطق، وهذا له دلالاته في عالم الحب في ثقافتنا، كذلك عندما تقول بصوت مهموس، والهمس هنا ليس الصفة الصوتية المقابلة لصفة الجهر في تصنيف الأصوات اللغوية، وإنما هو الكلام بصورة تخفي الكلام، أو بتعبير آخر بمعنى الكلام الخفيض، وله دلالة هنا يريد أن يطفئها محفوظ على نصه وهي أن الهمس بين الرجل والمرأة لا يكون إلا بين المقربين لبعضهما.

والنص التالي يلخص لنا السمات الصوتية الفارقة بين الرجل والمرأة، والتي نلاحظها جميعاً، ويدركها محفوظ مسجلاً إياها لتعطي دلالة قوية داخل الرواية، وهذا النص عبارة عن حوار بين أحمد وعلوية صبري، والحوار مفاده أن أحمد يريد مفاتحة علوية في أن يخطبها، وتخير منه بعض الفقرات المهمة لنا : " فقلت بصوت خافت لم يخل من عتاب ...

(١) الشحاذ ص ٨٧ .

(٢) الشحاذ ص ١١٦ - ١١٧ .

فقال بعناد وإخلاص ..

فتمتعت في حياء :

فقال بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة :

فقال بصوت حيي

فقال بصوت غليظ " (١) .

انظر المقارنة التي عقدها محفوظ بين السمات الصوتية عند الرجل " أحمد " والمرأة " علوية " علوية تتكلم بصوت خافت بينما أحمد يتكلم بعناد، علوية تتم في حياء وبصوت حيي، كما أنها تتعمد أن يكون صوتها رقيقاً فوق رفته الحقيقية، بينما أحمد يتكلم بصوت غليظ إنه رجل وإنها امرأة أليس كذلك ؟ بلى، فالسمات الصوتية للرجل تختلف عن السمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، وقد ذكرنا ذلك منذ قليل، والذي نريد أن نقوله هنا إن نجيب محفوظ كروائي ، أو قل إن هذه النصوص الروائية العربية تعرف وتدرج السمات الصوتية الخاصة بالجنسين ودلالاتهما في ثقافتنا العربية، وكما رأينا في الصفحات السابقة أنه أحس بفروق صوتية بين كل شخص وآخر من الجنس نفسه، واستغل المؤلف هذا في رسم صور أبطاله أو قل أضفى على أبطاله سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة^(٢) داخل الرواية .

(١) السكرية ص ١٨٥ - ١٨٨ .

(٢) لعل ما يؤكد ارتباط السمات الشخصية بالسمات الصوتية في ثقافتنا العربية ما يذكره الرازي في كتابه " الفراسة " ص ١٦١ ، يذكر في باب دلالات الصوت والكلام أن " من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع مكار، ومن كان كلامه سريعاً فهو عجول قليل الفهم، ومن كان كلامه عالياً سريعاً فهو غضوب سيء الخلق، ومن كان كلامه منخفضاً فبالضد، ومن كان صوته ثقيلاً فهو رغب البطن، ومن كان في صوته غنة فإنه حسود مضمهر الشر " ، ومهما كان موقفنا من محتوى النص، لكنه يسجل تصوراً للسمات الصوتية المحببة وغير المحببة ودلالاتها في الوشط الثقافي العربي آنذاك .

والآن أنقل إلى العنصر التالي، وهو عن الإشارات الدالة على الحالات النفسية والصحية .

[ب] الإشارات الكاشفة لحالات المتكلم المتغيرة ودلالاتها :

إن علاقة قوية بين الصوت والحالة النفسية التي فيها المتكلم ، فهناك إشارات صوتية تدل على الحالة الصحية للمتكلم، وعلى حالات التعب والإثارة والزكام والإفراط في شرب الخمر، ومن الطبيعي حسب تصور إيركرومبي أن تتولد بعض الإشارات لتوماتيكيا عن الحالات المادية التي تؤثر مباشرة على أعضاء النطق ، كما أنه غالباً ما توجد إشارات إلى الحالات التي نحن بصددنا أكثر أهمية من هذه الإشارات المتولدة مباشرة عن سبب مادي أعني تلك التي نتعرف منها على أحاسيس: كالتسلية ، والغضب، والاحتقار، والتعاطف، وغير ذلك مما يمكن أن يقع - حسب تصور إيركرومبي- تحت عنوان " نعمة الصوت Tone of Voice^(١) " .

وإذا كان هذا تصور العلماء المحدثين فإن تصوراً عربياً قديماً إلى حد كبير يلمس العلاقة بين الصوت والحالة النفسية ، ففخر الدين الرازي [ت ٦٠٦ هـ] يتكلم عن هذه العلاقة قائلاً : " إننا نشاهد الإنسان حال استيلاء الغضب عليه يصير صوته صوتاً غليظاً جهيراً ، وعند استيلاء الخوف يصير صوته حاداً خفيضاً ، والسبب فيه أن عند استيلاء الغضب عليه تخرج الحرارة من الباطن إلى الظاهر فيسخن ظاهرة البشرة ، والحرارة توجب توسيع المنافذ وتفتيح السدد في آلات الصوت وهذه الأحوال توجب صيرورة الصوت ثقيلاً غليظاً، وأما عند الخوف فإن الأمر يكون بالعكس من ذلك ، وذلك يوجب صيرورة الصوت حاداً خفيفاً ، وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فاعتبر مثله في سائر الأحوال ، فإذا ضبطنا الأحوال النفسانية ثم تأملنا أن الحادث عند حدوث كل نوع منها أي أنواع الأصوات علمنا حينئذ أن بين تلك الحالة النفسية وبين ذلك الصوت المخصوص مناسبة واجبة وملازمة تامة^(٢) " .

نخلص من كل ذلك إلى أن العلاقة بين ظاهرة الصوت والحالة النفسية للمتكلم معروفة قديماً حديثاً ، كما أن الشخص العادي يلمس هذه العلاقة تماماً ويتفاعل معها في

(١) إيركرومبي ص ١٨ .

(٢) فخر الدين الرازي : الفراسة ص ١١٠ .

سياقها ، ويدرك أن الغاضب يرفع صوته ونطقه يكون سريعاً أما الشخص الهادئ فيكون خافضاً لصوته ، كما نبرات الصوت تتغير حسب مشاعر وأحاسيس المتكلم، مثل: السعادة، والفرح، والحزن، والألم، والخوف، والغزع، والخجل، والاضطراب ، والتهكم، والسخرية^(١) .

إن كمال هذه المشاعر والأحاسيس الخاصة بالمتكلم تؤثر في نغمة أو نبرة صوته ، وهذا ما سجله الأستاذ نجيب محفوظ في رواياته فأكسبت عمله دلالة فنية ، والحق أننا مع أعمال هذا الرجل نحس بصدق الوصف لسياقات النصوص أو الحوارات، ومن الظواهر الصادق في وصفها ظاهرة الصوت ودلالاتها، وكما قلنا إن هذا النصوص الروائية تمثل ثقافة المجتمع بكل دلالاتها، وفي هذه الثقافة الصوت وسلوكيات مستخدميه لها دلالات تكشف عن دلالات يدركها أعضاء المجتمع، وبالتالي فنصوص هذه الروايات تسجل ما هو حاصل ، ومنها الظاهرة الصوتية وكيفية استعمال الصوت ودلالاته ، وإن نصوص نجيب محفوظ تدرك العلاقة بين الصوت والحالة النفسية للمتكلم ، أو قل إن شخوصه يدركون ذلك ، وفي السطور التالية عرض يؤكد ذلك .

في رواية الحرافيش يروي نجيب محفوظ قصة رؤية الشيخ عفرة لوليد صغير تركه أهله ، وأخذ الشيخ عفرة زيدان إلى بيته فأخذته زوجته سكيينة ، وأقدم الآن هذه اللحظات والحوار الدائر بين الشيخ وامرأته، يقول : " راحت سكيينة تهدد الطفل ثم قالت بحنان :

- إنه ذكر يا شيخ عفرة .

فحرك رأسه صامتاً فقالت باهتمام :

- يلزمه غداء ...

- وما درابتك بذلك وأنت لم تتجبي ذكراً ولا أنثى !!

.....

وتجلى صمت مفعم بالانفعالات حتى تتمم الشيخ عفرة زيدان :

- أليس من الخطأ أن نبقية أكثر مما ينبغي ؟

(١) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢م ص ٨١ .

فقلت بحماس وحرارة :

- الخطأ خطأ من ضيعه ...

ثم قالت وهي تتلقى إلهاماً بالرضى :

- لم يبق لي أمل في الإنجاب^(١) ! " .

من خلال هذا الحوار تبدو لنا العلاقة بين الصوت والحالة النفسية واضحة ، فسكينة تستخدم سلوكاً صوتياً مع الطفل تحاول أن توصل له الحنان من خلال هذا الصوت ، ثم عندما اقتنعت أن الطفل يكون عوضاً لها عن عدم إيجابها تستخدم سلوكاً صوتياً آخر للتأكيد على احتياجها له ، فتتكلم بحماس وحرارة لتوصل من خلال هذا السلوك الصوتي تمسكها بالطفل ، ثم انظر إلى دلالة الصمت في هذا النص ، فعندما يحرك الشيخ عفرة رأسه صامتاً له دلالة الحيرة والتفكير في اتخاذ قرار ، وكذلك عندما يقول " وتجلي صمت مفعم بالانفعالات حتى تمتم الشيخ" فالصمت هنا له دلالاته فهو صمت مفعم بالانفعالات ، فماذا يقول الرجل يأخذه أم يذهب به إلى القسم ، ولماذا تركه والداه ، وأسئلة أخرى ، كل هذا جعل الصمت مفعماً بالانفعالات .

إن السلوك الصوتي يصفه محفوظ بمقدرة فائقة وكأنه لغوي ، وللنظر إلى النص التالي الذي يمثل حواراً بين درويش وأخ الشيخ عفرة وعاشور الذي تربي عند الشيخ عفرة ، وفي هذا الحوار يحاول درويش استغلال قوة عاشور في السرقة إلا أن عاشور يرفض ،، وإليك جزءاً من نص كبير : " وتمخض جانب الصحراء عن نامة: وحمل الهواء عطر حي وارتفع صوت موسوم بالشيخوخة يقول :

- توكل على الله ..

وعند القرب وضح أن العجوز يمتطي حماراً . وعندما حاذاهما تماماً وثب عليه درويش ، ذهل عاشور وتحققت مخاوفه . لم ير شيئاً بوضوح ولكنه سمع صوت درويش وهو يقول متوعداً :

- هات الصرة وإلا ..

فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر :

(١) الحرافيش ص ٨ .

- الرحمة .. خفف قبضتك ..

اندفع عاشور إلى الأمام بلا وعي وهتف :

- دعه يا معلمي !

صرخ به درويش :

- اخرس ... " (١) .

السلوك الصوتي في هذا النص له دلالات متعددة ، فعندما يقول : " ارتفع صوت موسوم بالشيخوخة " نفهم أنه صوت رجل كبير ، كما أن هذا الرجل عندما يهدده درويش يسلك سلوكاً يؤكد خوفه وذعره وكذلك كبر سنه ، كل هذا نابع من قوله : " فتردد صوته مرتعشاً بالكبر والذعر " ثم انظر إلى تردد الصوت المرتعش ، فعملية تردد الصوت ، وأنه موسوم بالارتعاش فيها دلالة الخوف والذعر ، عن الصوت يكشف هنا عن الحالة التي مر بها الرجل الكبير .

ثم نأتي إلى سلوك درويش الصوتي في هذا السياق ، فهو يتكلم متوعداً الرجل ثم يصرخ ، والصراخ هو الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة^(٢) ، فهو مفزوع بفعل عاشور هذا ، الذي رفض أن يساند درويش في سرقة الشيخ العجوز ، ومن هنا تتعدد دلالات السلوك الصوتي في النص .

وتسأل النصوص التي تؤكد علاقة الصوت بالحالة التي عليها المتكلم ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين بكر ورضوانة ، فيه يتحدث بكر بحزن عن الذي حدث من مشاكل في بيتهم بيت الفتونة ، يقول محفوظ : " تمتم بكر :

- هي الحقيقة يا رضوانة .

رأها تتمخض عن تمثال للذهول فقال بقهر ويأس وحقد :

- لا فتونة ولا مال ولا سعادة !

تساعلت بريق جاف :

(١) السابق ص ١٧ .

(٢) لسان العرب ، مادة صرخ .

- ولكن .- لكن كيف وقع ذلك ؟

- كما يقع الشلل والفضيحة والموت ، لم تتعجبين ؟ ما هي إلا مغامرة أخطأت الهدف !

فقال بعذاب :

- طالما حذروك من المغامرات ..

فقالت بازدرء :

- الذين لا يعلمون ينتقدون ويعظمون ويحسدون ، عليهم اللعنة ... " (1) .

نرى ارتباطاً قوياً بين الحالة النفسية التي عليها كل من رضوان وبكر والسلوك الصوتي الذي يستخدمونه في هذا الحوار ، هذا كله له دلالاته ، ثم انظر الوصف الذي يذكره المؤلف : فقالت بعذاب ... فقالت بازدرء ، ما معنى هذا ؟ إن ما يريد أن يصبغه المؤلف على القولين هو أنه واضح من خلال السلوك الصوتي المستخدم الحالة النفسية التي عليها صاحب القول ، والذي يتبين منه العذاب والازدرء .

ولننظر إلى الحوار الذي دار بين عاشور وزوجته زينب في حديث عن البوطة وفتة المرأة التي تعمل فيها ، يقول : " في انتظار كانت زينب أمام الباب . اهتدى إلى مسكنه بضوء مصباحها الموضوع على عتبة المدخل ... سألتها بلهفة :

- أين الأولاد ؟

فتساءل بوجوم :

- ألم يراجعوا ؟

فتهدت بصوت مسموع فتمتم :

- لتكن إرادة الله .

وهو يجلس على الكنبه قالت بحدة :

- كان يجب أن تدعني أذهب ...

- تذهبين إلى البوطة في خضم السكارى ؟ !

(1) الحرافيش ص ١٨٣ .

.....
- وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش ؟

يتجنب النظر إليها وقال بازدراء :

- فيم تسألين ؟ بنت تقيم في خماره !

- جميلة ؟

- داعرة .

- جميلة ؟

فقال بعد تردد :

- لم أنظر نحوها .

فقال متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور " (١) .

نلاحظ ربطاً قوياً بين سؤال زينب بلهفة والموقف الذي تعيشه من غيرة على زوجها من فلة ، ومن خوف على أولادها ، وهي أيضاً تنتهد بصوت مسموع ، والتهد دليل الحزن ، ثم إنها تتكلم متأوهة في إحدى الجمل ، والتأوه " هو حكاية المتأوه في صوته (٢) " ، مفيدة الحزن والتوجع ، هذا السلوك كله صورة للحالة النفسية التي عليها زينب من خوف وغيره .

ولننظر إلى النص التالي ، والذي هو عبارة عن حوار بين سليمان الناجي مع أولاده ، بكر وخضر ورضوانة وسنية ليعرف من خلال حقيقة الفضيحة التي حدثت لهم ، يقول : " صاح سليمان بفضاظة :

- الحقيقة !

لم ينبس أحد فصاح :

- الويل لمن يخفي همسة ...

(١) السابق ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) لسان العرب ، مادة أوه .

ورمى رضوانة بنظرة فاحصة حادة أمراً :

- تكلمي يا رضوانة .

فأجهشت في البكاء فهتف متبرما :

- لا أحب الدموع ...

فتمتمت وهي تشهق

.....

فصاح سليمان

.....

فقال لها سليمان بحدة :

- اسكتي ..

فقال بيأس :

- إنه الشيطان يندس بيننا ..

فقال سليمان بحق :

- الشيطان لا يندس إلا بإذن منا ..

فقالت سنية مولولة :

- حلت بنا اللعنة .

.....

فصرخ سليمان وهو ينهض :

- ها أنت تعترف يا مجرم^(١) .

إن السلوك الصوتي هنا يرتبط بالحالة النفسية تماماً ، فسليمان الرجل سليل
عاشور الناجي المعروف بالفتونة والصلاح ، يحدث في بيته فعل مشين ، هذا الفعل

(١) الحرافيش ص ١٦٩ ، ١٧١ .

يجعل الحالة لنفسية لسليمان أكثر من سينة تجعله يصيح بفظاظة ومعنى صاح أنه تكلم بصوت مرتفع، حيث إن " .. صَيِّحٌ : صَوَّتْ بأقصى طاقته^(١) " ، كما أنه يهتف متبرماً، والهِتاف هو " الصوت لشديد " ...

وهتف به هتافاً أي صاح به^(٢) ، كل هذا دليل غضب سليمان الشديد ، ويتكلم بحدة ، وفي النهاية يصرخ ، والصراخ كما ذكرنا سابقاً هو الصيحة الشديدة عند الفرع أو المصيبة . هذا السلوك الصوتي مرتبط تماماً بالحالة التي عليها سليمان .

أما سلوك النسوة الصوتي في الحزن فهو مختلف ، وهذا حاصل في نصنا السابق فرضوانة عندما يكلمها سليمان بحدة ويقول لها تكلمي ، ماذا حدث أجهشت في البكاء ، وتمتمت وهي تشهق ، والتمتمة هي : " أن يعجل بكلامه فلا يكاد يفهمك^(٣) " ، بمعنى عدم وضوح الكلام ، وهنا هو نتيجة للحالة النفسية التي عليها رضوانة ، ثم انظر إلى ولولة سنية ، وهو سلوك صوتي غالباً ما يسلكه النساء عند تعرضهن للمصائب أو الخوف وقد انتهج هذا السلوك المؤلف في رسم المواقف ، ويعبر عن السلوك الصوتي بنبرة وبلهجة ونغمة ، ومن التعبيرات التي ذكر فيها نبرة الآتي: " وبلغت نبرته غاية الاحتجاج^(٤) " ، يريد سلوكه الصوتي قد ارتفع للاحتجاج ، وأيضاً " فقال شيخ الحارة بنبرة ساخرة^(٥) " ، بمعنى سلوك صوتي يظهر منه السخرية ، و " فقالت فلسة بنبرة باكية^(٦) " ، بمعنى أنها تكلمت بسلوك صوتي يظهر منه البكاء ، والنبرة هنا بمعنى الوضوح السمعي ، وليس بمعنى المصطلح الصوتي النبر المقابل للمصطلح الإنجليزي Stress ، فما أود أن أقوله إنه يستخدم نبرة بمعنى سلوك صوتي واضح أنه للبيكاء أو للسخرية إلخ ، وفي السطور التالية عدد من الأمثلة المستخدمة فيها كلمة نبرة توضح ما أقول .

(١) لسان العرب مادة " صيح .

(٢) السابق مادة " هتف " .

(٣) السابق مادة " تمتم " .

(٤) الحرافيش ص ٨٥ .

(٥) السابق ص ٩٢ .

(٦) السابق ص ٩٤ .

يقول : " فقال بنبرة عالية^(١) " بمعنى سلوك صوتي عالي مؤكد مستخدم ليدل على الحالة النفسية التي عليها صاحب القول ، وأيضاً : " فقال بنبرة حزينة^(٢) " ، وكذلك " وغمغمت في حيرة فقالت رئيفة بنبرة عدوانية قاسية متحدية مباغثة^(٣) " ، بمعنى أنها قالت بسلوك أو طريقة عدوانية ، وأيضاً : " بكت نور الصباح وقالت عفيفة بنبرة متشنجة^(٤) " ، كل هذه الأمثلة تؤكد استعماله كلمة نبرة بمعنى سلوك أو نهج صوتي هو سمة للقول ، هذا السلوك دال من خلال السياق على موقف صاحب القول من الأحداث الحاصلة في السياق ، ومن هنا هل نبرة صوته عالية أو حزينة أو ضاحكة أو عدوانية لها دلالة، مؤكداً أن كل هذه الأمثلة تصف السلوك الصوتي الدال على الحالة النفسية التي عليها المتكلم .

ويستخدم أيضاً كلمة لهجة بالدلالة التي استخدم بها كلمة نبرة، وهذا يتضح من السياقات التالية ، ومن ذلك الآتي :

" فقال لها بلهجة امرأة^(٥) " ، وكذلك : " فقال له زين علباية بلهجة تحريض^(٦) " ، وأيضاً : " فقال ضياء بلهجة جمعت بين التشكي في ظاهرها والظفر في أعماقها^(٧) " ، وفي السكرية أمثلة منها : " وكان كمال يحب هذه اللهجة الوديعه اللطيفة التي لم يحظ بها إلا بعد عمر طويل^(٨) ... " .

في المثال الأول تعنى أنه استخدم سلوكاً صوتياً في قوله يشير إلى الأمر ، وفي الثاني بمعنى طريقة تحريضية في قوله ، وفي المثال الثالث بمعنى أيضا السلوك ، وفي كل هذه الأمثلة يكون السلوك الصوتي المستخدم دالاً في سياقه ، والأمثلة التالية تؤكد أيضاً ذلك .

(١) السابق ص ٤٠٢ .

(٢) السابق ص ٣١٣ .

(٣) السابق ص ٣٤٨ .

(٤) السابق ص ٤٦٥ .

(٥) السابق ص ٢٥٨ .

(٦) السابق ص ٥٣٤ .

(٧) السابق ص ٥٥١ .

(٨) السكرية ص ١٢ .

"بلهجة حزينة^(١)" ، و "وقالت بلهجتها الساخرة "حمد الله على السلامة"^(٢)" ، وقال الأسيّاذ بلهجة المتسائل^(٣)" و " فضحكوا معاً ، وإذا بعلي عبد الرحيم يغير لهجته ويتساعل حاداً^(٤)" و " فقال الرجل في لهجة لا تخلو من جفاف^(٥)" و " أما عائشة فإنها عندما دعيتها خديجة إلى شهود الدخلة الصامئة هزت رأسها عجباً وقالت بلهجة عصبية^(٦)" تستخدم هنا كلمة لهجة في الأمثلة المذكورة بمعنى سلوك صوتي ، أو الطريقة المستخدمة في القول ، ومن هنا يكون الربط بين الشخص القائل وتفاعله مع الموقف ، فيكون دالاً على حالته وموقفه .

وتستخدم كلمة نغمة في الإطار نفسه ليصف بها السلوك الصوتي ، ليدل بها على الحالة النفسية الخاصة بالمتكلم ، وقد وردت في أعمال نجيب محفوظ الثلاثة المذكورين أقل من ورود كلمتي نبرة ، ولهجة ، وتقريباً الكلمات الثلاث بمعنى واحد ، وبخاصة في السياقات ذات الدلالة الخاصة بالسّمات الصوتية ، ويستخدمها كالآتي :

" فقالت نعيمة في نغمة ساخرة^(٧)" و " فضحك كمال ضحكة تحمل نغمة جديدة وقال^(٨)" و " وساد الصمت مرة أخرى كاللازمة بين النغمة والنغمة ، ثم قالت^(٩)" .
هذه الأمثلة تؤكد استعمال كلمة نغمة واصفة سلوكاً صوتياً معيناً يتناسب مع حالة المتكلم.

ويستخدم أيضاً كلمة صوت متبوعة بصفة معينة ليعين سمات الصوت المستخدم ودلالته ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

-
- (١) السابق ص ١٩ .
 - (٢) السابق ص ٦١ .
 - (٣) السابق ص ٨٨ .
 - (٤) السابق ص ١٤٥ .
 - (٥) السابق ص ١٦٨ .
 - (٦) السابق ص ٢٧٦ .
 - (٧) السابق ص ٦ .
 - (٨) السابق ص ١٩٢ .
 - (٩) السابق ص ٢٦٥ .

" وسأله سليمان بصوت متهدج^(١) " و " فقال بصوت منخفض^(٢) " و " وإذا بحماته تبعته قائلة وهي تفهقه بصوت داعر^(٣) " و " وقالت بصوت مبجوح^(٤) " و "فتساءل جلال بصوت ضعيف^(٥) " و " بصوت مضطرب^(٦) " و " فقال عبد المنعم بصوت قوي غاضب^(٧) " و " فجاءه صوت ناعم مضطرب النبرة يقول^(٨) " و " فجاء الصوت الرقيق^(٩) " .

كل هذه الأمثلة لها دلالتها داخل السياق ، فكل الصفات التي وصف بها الصوت تستخدم دالة على الحالات الخاصة بالمتكلم ، فهذه الاستعمالات المستقاة من المجتمع يكسبها المؤلف دلالة فنية ليعبر عن صفات شخوص الرواية ، ودالة داخل سياقات نصوص الرواية أيضاً .

ولم يقف عند هذا فقط بل يستخدم صفات أخرى لقول من مثل قوله : " فقال بلين وخوف^(١٠) " ، ويصف القول باللين والخوف ليقرر أن السمات الصوتية التي خرجت من هذا المتكلم في هذا السياق تؤكد على حالته النفسية التي هو عليها في هذا السياق . وفي الصفحات التالية على الإشارات الدالة على الانتماء إلى مجتمع معين .

[ج] الإشارات الدالة على الانتساب إلى جماعة معينة:

قلنا سابقاً إن التواصل هو تنظيم وتقييم وتقييم لنظام ثقافي في نمط من السلوك الذي يبقى ويضبط ويصنع العلاقات الإنسانية الممكنة ، كما أن البشر يكتسبون الثقافة والتواصل معاً ، فلا يوجد واحد منهما دون الآخر ، فطرق التفكير والشعور والسلوك

(١) الحرافيش ص ١٣٦ .

(٢) السابق ص ١٩٥ .

(٣) السابق ص ٢٣٠ .

(٤) السابق ص ٤٣٧ .

(٥) السابق ص ٤٥٥ .

(٦) السابق ص ٨٧ .

(٧) السابق ص ١١٨ .

(٨) الحرافيش ص ٢٧٢ .

(٩) السكرية ص ١١٥ .

(١٠) الحرافيش ص ٨١ .

المشترك داخل أية ثقافة يكون من خلال رموز تواصلية يشترك فيها أفراد المجتمع ، ويفضل هذا السلوك الرمزي أو الإشاري يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل فيشعرون بأنهم يكونون كياناً مميزاً يسمى مجتمعاً وإن التواصل جزء مهم في حياة الإنسان ، فهو ميزة يكتسبها الإنسان منذ طفولته من خلال مجتمعه ، والتواصل بأنواعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع في ممارسته؛ ذلك لأنه نشأ في أحضان المجتمع ، ووجد بكل أنواعه عندما أحس الإنسان بالحاجة إلى التفاهم ، والإنسان لا يتواصل بلسانه وأعضاء الجهاز الصوتي الأخرى فقط ، وإنما يتوصل بأعضاء جسمه أيضاً ، فهو يومئ برأسه ويغمز بعينه ويرمز بشفتيه ويشير بأصابعه ، وهذه الإشارات المصاحبة للكلام تقوم بتأكيد دلالات هذا الكلام من ناحية ، أو إكمال ما يعثورها من نقص من ناحية ثانية، ومن هنا تتمثل أهمية لغة الإشارات الجسدية في نقل الأفكار والمشاعر والآراء والعواطف^(١) .

وقبل أن يظن الأوروبيون إلى هذا فطن العرب إلى ذلك ، ومنهم الجاحظ الذي وعى لعملية التواصل ، وحدده في خمس وسائل ، يقول : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد ، أولها : اللفظ ، ثم الإشارة ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال ، وتسمى . النصبية وهي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات^(٢) " .

هنا قسم الجاحظ الدلالات على المعاني إلى قسمين : لفظي وغير لفظي ، ونلاحظ أنه وضع الإشارة ضمن وسائل التواصل ، وتكون " الإشارة : باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف . وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاخراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً . والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط^(٣) ؟ " .

والإشارات الجسدية كما يذكر بلومفيلد إنها تصاحب كل الكلام ، كما أنها تخضع إلى تواضع المجتمع عليها ولذا فهي تختلف من مجتمع لآخر ، كما يرى أن استعمال

(١) انظر تفاصيل أكثر في كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٠م ص ٨ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٧٦/١ .

(٣) السابق ٧٧/١ ، وانظر عرضاً مفصلاً في مقال د . فاطمة محبوب ١٩٧٥م ص ٣٣ ، ٣٤ .

الإيطاليين للإشارات الجسمية أكثر من استعمال الإنجليز ، ويقول بأنه في حضارتهم البشر يستعملون الإشارات أقل^(١) .

وما يهمنا ما قاله بلومفيلد من أن الإشارات الجسمية تخضع إلى تواضع المجتمع مثلها مثل اللغة تماماً ، ومثلها مثل السمات الصوتية المصاحبة للكلام تستمد من دلالتها من المجتمع الذي يقنن كل وسائل التواصل ، وإذا كان كل مجتمع لغة ، هذه اللغة لها عدد من الوحدات الصوتية ، فإنه أيضاً في كل مجتمع حركات جسمية معينة يرتضيها المجتمع ويحملها دلالات معينة يتواضع عليها ، وأيضاً كل مجتمع يُحمّل السمات الصوتية المصاحبة للكلام بعض المعاني التي يتواضع عليها، وبالتالي فإن عمليات التواصل بكل وسائله في المجتمع تخضع لتواضع المجتمع الذي يحملها معاني مختلفة .

والسمات الصوتية يمكن أن تبين طبقة المتكلم الاجتماعية التي نشأ فيها فهي طبقة غنية أم وسطى أم فقيرة ، وكذلك وظيفته ، ولعل ما يراه برنشتاين من أن اللغة في عملية اكتسابها تختلف من فرد لآخر من طبقة لأخرى ، بسبب أن أبناء الطبقة الوسطى تسود لديهم لغة تتصف من حيث الشكل بالغنى والتنوع ، وذلك بالقياس إلى اللغة التي تسود الطبقات الشعبية ، بسبب أن الأسرة المتوسطة تنظر إلى الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو ، وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز الطفل بوصفه فرداً ، وتتعامل معه كما هو وتستخدم بنى لغوية مختلفة من أجل تعزيز النزعة الفردية لديه أما في الطبقات الشعبية فالبنى اللغوية الخاصة بهم لغة محددة ، وتقوم على منظومة من العبارات المختصرة التي تأخذ شكل تأكيدات قاطعة^(٢).

ومن هنا تختلف سلوكيات التواصل من طبقة لأخرى ، لأن هناك اختلاف ثقافي بين كل طبقة وأخرى .

وسوف نحاول أن نحلل ظاهرة السمات الصوتية المصاحبة للأداء الكلامي^(٣) في كل من بيئة الحرافيش بيئة الطبقة الشعبية وبيئة السكرية الطبقة الوسطى لنرى هل هناك اختلاف بين البيئتين أم لا .

(١) Bloomfield , L , 1962 , p . 39 .

(٢) انظر تفاصيل أكثر في بحثه التالي Bernstein , B , 1972 , pp . 157-177 وانظر بحث د. علي وطفه ١٩٩٤ ص ٢٣ ، ٢٨ .

(٣) لقد فطن العرب إلى تأثير السمات الصوتية كحسن الصوت وغيرها من السمات الصوتية التابعة لأداء الكلام ، ومن ذلك ما يرويه الأبهيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستطرف من أن-

نجد في بيئة الحرافيش استخدامات صوتية مميزة كاستخدام الصوت الغليظ ، وارتفاع الصوت، وكذلك كثرة الصياح والصراخ ، والزمجرة ، ومن أمثلة ذلك الآتي :

يستخدم رفع الصوت مع الغلظة ، ومن ذلك : " فرغ صوته الأجرس متسائلاً؟ :

- ماذا تنتظر يا معلم درويش ؟

فلكزه درويش في صدره وهمس بحنق :

- أخفض صوتك يا بغل^(١)

طبعاً مثل هذه السلوكيات مرتبطة بالبيئات الشعبية ، ليس فقط بسلوكها الصوتي في رفع الصوت ، ولكن أيضاً في الشتيمة الحاصلة : " أخفض صوتك يا بغل " .

ومن ذلك القول بغلظة ، يقول : " ماذا جاء بك يا عاشور ؟

فقال بغلظة :

- إنك خبيث وشرير وتعرف كل شيء^(٢) " .

بعض أهل التفسير يقولون بأن قوله تعالى : (**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**) سورة فاطر: الآية [١] ، يعني الصوت الحسن ، كما يقول بان النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري ﷺ لما أعجبه حسن صوته : " لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود " ، ويقول أيضاً بأنه حكى أن البعلبكي مؤذن المنصور رجع في آذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الإبريق من يدها ، فقال له المنصور : خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع . انظر ٥١٢ و ٥١٣ من كتابه ، والجاحظ كان أكثر تفصيلاً حيث يشير إلى أن " العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ، ومن تمام الإكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث عند المواكلة " البيات والتبيين ١١/١ ، كما يشير إلى العادات الصوتية المحببة عند الجماعة العربية والمحبب وجودها في الخطيب ، يقول الجاحظ : " كان جعفر بن يحيى البرمكي أنطق الإنسان قد جمع الهدوء والتهمل والجزالة ، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة ، ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفر عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة وقال مرة : ما رأيت أحداً لا يتحيس ، ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحج ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشد اقتدراً ولا أقل تكلفاً من جعفر بن يحيى " البيان والتبيين ١٠٦/١ هو يريد أن يقول إن الأداء الكلامي لجعفر أداء جيد لما فيه من الهدوء والتهمل ، ولما يمتلكه من قدرات بلاغية .

(١) الحرافيش ص ١٦ .

(٢) السابق ص ٤٩ .

وأيضاً هناك سمة أخرى نجدها في البيئة الشعبية ، وهي الزمجرة ، يقول :
" فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور ونحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى
صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي

فتركه وهو يزمر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض^(١) ... " .

والزمجرة هي كما يقول صاحب لسان العرب : " ويقال للرجل إذا كثر الصخب
والصياح والزجر سمعت لفلان زمجرة^(٢) " ، فهذه السمة تكثر في البيئات الأقل ثقافة .

ومن ذلك الصياح بصوت عالي ، يقول : " وصاح بصوته الأجنس الباكي : يا
هوه ! .. يا أهل الله ..

.....

وبصوت كالرعد صاح :

- يا درويش^(٣) ! " .

انظر إلى تعبير وبصوت كالرعد صاح الذي يحمل معاني مرتبطة بالقوة
والفتونة الموجودة في الأحياء الشعبية، فهذه سلوكيات صوتية مرتبطة بالبيئات الشعبية.

ومن ذلك أيضاً كما يصفه محفوظ من خلال البيئة الشعبية ، يقول : " وراح
يغني بصوت كالنهيق^(٤) " .

وكذلك : " فقال بصوت جهوري^(٥) " .

وأيضاً : " وتلوث قائمة مثل لسان من لهب وصرخت في وجهه :

اقطع لسانك القذر^(٦) " .

(١) السابق ص ٥٠ .

(٢) لسان العرب مادة " زمجرة " .

(٣) الحرافيش ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) السابق ص ٣٨٤ .

(٥) السابق ص ٥٥٧ .

(٦) السابق ص ١٨٩ .

كل هذه السلوكيات مرتبطة تماماً بالبيئات الشعبية ، ومن ذلك أيضاً " فقال
عاشور بصوت لا حياء فيه :

عظيم^(١) ! " .

هذه السمات الصوتية لا نجدها نفسها في الطبقي الوسطى ، وإنما نجد تنوعات
أخرى لهذه السلوكيات الصوتية ، لأن لكل طبقة عدداً من السمات الخاصة بأدب الحديث
، ورواية السكرية سنجد فيها هذه السمات .

رأينا في [أ] أن عبد المنعم إبراهيم شوكت يظفي عليه المؤلف عدداً من سمات
قوة الشخصية ، ومنها السمات الصوتية ، إلا أنه لا يصل إلى حالة الزمجرة والصراخ
والصوت الذي لا حياء فيه ، فقد كان المؤلف واعياً في وصف السمات الصوتية لهذه
الطبقة، فهو يصف عبد المنعم بأقوال مثل: " فقال عبد المنعم شوكت بصوته القوي^(٢) " ،
و " فقال عبد المنعم بصوته اليقين^(٣) " و " فقال عبد المنعم بصوت قوي شديد الثقة
بنفسه^(٤) " ، حتى في حالة الغضب يقول : " فقال عبد المنعم بصوت قوي غاضب^(٥) " .
إن هذه السمات الصوتية مرتبطة بالطبقة الوسطى، وكذلك الأمثلة الأخرى من
مثل: "فقال بصوت رقيق^(٦) " و " فجاء الصوت الرقيق يقول^(٧) " .

وفي حالة الغضب تكون السمات الصوتية مختلفة أيضاً عن حالة البيئات الشعبية
، فهنا في السكرية حيث الطبقي الوسطى تكون السمات الصوتية كما في الأمثلة الآتية :
" فكانت تقول لها بصوت ينم عن الضجر^(٨) " و " فقالت عائشة بامتعاظ^(٩) " .
و"قال كمال بصوت حزين^(١٠) " و " إذا بعلي عبد الرحيم يقول رافعاً صوته إلى درجة

(١) السابق ص ٥٥١ .

(٢) السكرية ص ٢٨ .

(٣) السابق ص ٣٣ .

(٤) السابق ص ٧٧ .

(٥) السابق ص ١١٨ .

(٦) السابق ص ٨٧ .

(٧) السابق ص ١١٥ .

(٨) السابق ص ٧ .

(٩) السابق ص ٨ .

(١٠) السابق ص ٥٣ .

جديدة منذرة بتغيير مجرى الحديث^(١) " و " فقال كمال فيما يشبه الضجر^(٢) " .

هكذا يكون التعبير عن الغضب بسلوك صوتي إلى حد كبير خالٍ من الصراخ
والزمجرة وغيرها من السمات الصوتية الخاصة بسلوكيات البيئات الشعبية .

وأود أن أشير إلى سمة أخرى تحدد من خلال المجتمع ، وهي السمات الصوتية
الخاصة بالجائزة للمرأة ، والسمات الصوتية الخاصة بالمرأة ، والإسلام قد اهتم بتهديب
سلوك الرجل - كما أشرنا سابقاً - وبتهذيب سلوك المرأة فقال تعالى : (فَلَا تَخْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)^(٣) ، ويفسر أبو حيان هذه الآية
قائلاً : " فلا تخضعن بالقول أي لا تجبن بقولكن خاضعاً أي ليناً خنتاً مثل كلام
المريبات والمومسات ، فيطمع الذي في قلبه مرض أي ريبة وفجور ،

قال ابن عباس : يندب للمرأة إذا خالطت الرجال الجانب بالغلظة في القول من
غير رفع الصوت ...^(٤) " .

فخفوت صوت المرأة ورقته شئ ممدوح في الثقافة العربية ، وسنجد هذا في
عدد من الأمثلة عند نجيب محفوظ ومن ذلك الآتي :

يقول : " وإذا بالصوت الرفيع يعلو^(٥) " ، وكذلك " فهمست :

- لا شئ في الوجود عبث ..

.....

وهمست^(٦) " .

والهمس بمعنى الخفي من الصوت أو الكلام الخفي ، والهمس يأتي من المرأة
والرجل ولكن له دلالات متنوعة منها القرب والمحبة وغيرهما .

(١) السابق ص ٤٢ .

(٢) السابق ص ٣١ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية [٣٢] .

(٤) أبو حيان : البحر المحيط ٢٢٩/٧ .

(٥) الشحاذ ص ٨٧ .

(٦) السابق ص ١٧٠ .

ويأتي منها الصراخ من المرأة والرجل ، وبخاصة في الطبقات الدنيا ، والأمثلة عديدة وسوف نقدمها في الصفحات القادمة إن شاء الله . أما الولوجة فتأتي من المرأة ، ومن ذلك ما أظهره محفوظ في الحرافيش ، انظر إلى الحوار الآتي :

" وتدخلت العجوز وقالت :

- ألم أقل لك إن قلبه أسود ؟ !

فنهرا قائلاً :

- اقطعني لسانك القذر ...

فولت العجوز (١) .

وأيضاً : " وتمتم مجاهد إبراهيم :

- أي قدر يعبث بأب ووحيد ..

فولت عفيفة هاتفة :

- إنه الشيطان ... " (٢) .

إنه حقا كما يقول هايمز عن السلوك اللغوي يتأثر بالطبقة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وبسنه ، ومهنته ودينه وكذلك درجة تعليمه وجنسه (٣) ، وهذه الظاهرة التي نحن أمامها ترتبط بكل ذلك ، فالولوجة الموجودة عند نساء الحرافيش التي تمثل الطبقة الدنيا (٤) لا تجدها بهذا الشكل عند الطبقة العليا ، والولوجة من العجوز لا تكون عند الصغيرات في البيئة نفسها ، ولا تأتي من الرجال في البيئة نفسها .

(١) الحرافيش ص ٢٣٢ .

(٢) السابق ص ٤٥٤ .

(٣) Hymes , D , 1974 , 154 - 156 .

(٤) تناولت د . ليلي الصاوي في بحثها : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصري ، تناولت الارتباط بين اللغة وجنس المتحدث ، وخلصت منها إلى وجود اختلاف ليس فقط على جنس المتحدث وإنما على درجة تعليم الأشخاص الجنس نفسه ، وكذلك اختلاف مفردات الحديث باختلاف جنس المتحدث ، وارتباط المكانة الاجتماعية للغة الحديث بجنس المتكلم ، وعرضت لعدد من التعبيرات المميزة للنساء الشعبيات التقليديات ، مثل التعبيرات الدالة على تمسكهن بالإيمان بالغيبيات من مثل " محروس ومصان " و " حوش يا رب " و " اخزي العين " ، =

وهناك ظاهرة التنغيم وهو من الوحدات الصوتية فوق التركيبية ويصاحب نطقنا للجمل والكلمات ، وهو بمعنى ارتفاع أو انخفاض في درجة الصوت الحادث بسبب التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ومن خلال ذلك يحدث نغم موسيقى ، هذا النغم الموسيقى في نظام اللغة له دلالة^(١) .

وهناك خلاف حول وجود التنغيم أم لا في العربية قديماً ، إلا أنه مقرر أن اللهجات العربية الحديثة ومنها العامية المصرية يوجد فيها التنغيم ، لكن لا يمكننا أن نعتمد على ما ذكره محفوظ في روايته نظراً لاحتياجنا إلى سماع النطق ، لكن هناك بعض الإشارات داخل الروايات من مثل قوله : " فأجابه عبد المنعم إبراهيم شوكت بصوته القوي المفعم بذبرات التوكيد^(٢) " ، لكن لا يمكن الاعتماد على ما قاله محفوظ ، لكننا نؤكد أن التنغيم يظهر موسيقى كلامية على مستوى الجملة ، وبخاصة في اللهجات ، هذه الموسيقى لها دلالتها .

وانتقل إلى نقطة مهمة ومرتبطة دلالياً بثقافة المجتمع ، وهي الصمت أو عدم التصويت ، فإذا كنا قد ذكرنا أن السمات الصوتية تحمل دلالات فإن الصمت أيضاً يحمل كثيراً من الدلالات المختلفة ، ولهذا اعتبره المهتمون بدراسة التواصل غير اللغوي شكلاً من أشكال التواصل^(٣) ، وهذا الصمت يختلف دلالاته من ثقافة إلى أخرى ،

=وكذلك التعبيرات الدالة على الضعف والحيلة مثل " الله يسترك " و " ربنا ما يغلب لك ولية " ، وأيضاً التعبيرات الخاصة برثاء الموتى مثل " يا خويا " و " يا جملي " ، وتعبيرات التعاطف والحنان مثل " يا دلعددي " و " يا روجي / يا روح قلبي / يا روح أمك " والتعبيرات الدالة على العنف والعدوانية مثل " يا إبرة مصدية على الكوم مرمية " و " اللي ما تتسماش " ، انظر بحثها ٢٠٠٢ م ص ٥٣ - ٧٨ .

(١) تحت عنوان التنغيم هل هو ظاهرة كلية ، وضع بحثه اللغوي بولنجر D . Bolinger جمع فيه عدداً من آراء اللغويين جيلسون وبيك وغيرهما من اللغويين المؤكدين أو المبرهنين على فكرة التشابه في التنغيم كملكة كلية جامعة ، ومنهم من قال بأن كل لغة تملك كلمات ، وعلامات متضمنة بنى صوتية وقابلة للاستعمال كجملة مركبة من عناصر من التنغيم ، وقال بولنجر إن عدداً من اللغات يبلغ ١٧٥ لغة تستخدم نغماً للاستفهام P. 837 ، لكنه في P.838 يرى أن اللغات ككل ليس بينها اشتراك واضح في التنغيمات مثلما في أنظمة الوحدات الصوتية . انظر بحثه Bolinger ,D,1964 .

(٢) السكرية ص ٢٩ .

(٣) انظر كتاب د . كريم حسام الدين ١٩٩٢ م ص ١٠٦ .

وفي الثقافة العربية الإسلامية ، السكوت جُعل علامة للرضا عند البكر في عرض الزواج عليها ، وعند بعض القبائل الإستراتيجية التي تحظر على الأراامل أن يتكلمن بعد وفاة أزواجهن لمدة معينة تبدأ من شهر وقد تطول إلى اثني عشر شهراً يتخاطبن خلالها بأصابعهن وأيديهن^(١) .

وفي باب الصمت من كتابه البيان والتبيين يروي لنا الجاحظ عدداً من المأثورات التي تصور رؤية العرب للصمت ، ومن ذلك أن أعرابياً كان يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول الصمت فقال : اسمع فأعلم ، واسكت فأسلم . وقالوا : لو كان الكلام من فضه لكان السكوت من ذلك . وقالوا : مقتل المرء بين لحبيه وفكبه ، وقال النبي ﷺ : " وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم^(٢) " ، ويروي في موضع آخر ، يقول الشاعر^(٣) :

والصمت أجمل بالفتى ما لم يكن عن يشينه

والقول ذو خطل إذا ما لم يكن لب يعنيه

هكذا صورة الصمت ، أو السكوت في الثقافة العربية ، وفي السطور التالية نقدم تحليلاً نحاول أن نتبين منه دلالات الصمت في مادة البحث .

في حوار بين عاشور ودرويش ، : " تبادلا نظرة طويلة مرة أخرى تجلى التخاذل في عيني درويش ، فقال ملاينا :

- ما أريد إلا أن تجود على مثل الآخرين ..

- ولا مليم لأمثالك ..

وساد صمت فرجع عاشور يتساءل^(٤) " .

الصمت هنا له دلالة تشير لوجود تفكر في اتخاذ القرار ، وخوف درويش من

عاشور .

(١) السابق ص ١٠٨ .

(٢) انظر تفصيلات أكثر في باب الصمت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

(٣) السابق ٥/١ .

(٤) الحرائيش ص ٧٦ .

وعلى هذه الشكل الكثير من الشواهد ، ومن ذلك الصمت الذي ساد بين محمود قطائف شيخ الحارة وعاشور فتوتها ، يقول عاشور : " أئمة شك في ملكيتي لها ؟

- معاذ الله ولكنها الأوامر !

فقال بحدة بصوته الخشن :

- أريد أن أعرف ما تعنيه أوامرك ؟

فقال محمود قطائف بصوت منخفض :

- اغتصبت بعض دور الهالكين في الأحياء المجاورة !

وغرقاً معاً في صمت ثقيل مشحون بالتوجس والريبة حتى رفع عاشور صوته^(١).

هذا الصمت دلالاته مكشوف عنها ، وهي التوجس والريبة والخوف ، وانظر إلى الصمت الذي في المثال التالي عقب فوز شمس الدين الفتوة الجديد على غسان ، "ويقف شمس الدين لاهثاً غارقاً في العرق ، ويغلب صمت الذهول ، حتى يمضى شعلان الأعور إليه بملابسه وهو يقول :

- نعم الفتى .. ونعم الفتوة^(٢) . "

إنه بالفعل صمت الهول ، فالكل لم يكن يتصور أن شمس الدين بهذه القوة التي تجعله يتفوق على منافسه غسان ، ويطرجه أرضاً .

وفي حوار طويل بتكرار الصمت ، هذا الحوار بين شيخ الحارة محمود قطائف وشمس الدين الفتوة ، يبلغ فيه شيخ الحارة الفتوة بأن الوجهاء يرفضون دفع الإتاوة ، يقول : " فقال [سليمان] بغضب :

- إنهم يابون إلا الرفعة والدونية للآخرين .

فصمت محمود قطائف ملياً ثم قال :

- من حقهم أن يطالبوا باحترام يكافئ أعمالهم .

(١) السابق ص ٨٠ .

(٢) السابق ص ١٠٤ .

- لولا أبي ما انتفع بأموالهم أحد، انظر إلى نظرائهم في الحارات الأخرى ماذا يفعلون!
فلاذ شيخ الحارة بالصمت مرة أخرى ، بدأ متردداً ، قالت فلة :
- تكلم ، ما على الرسول إلا البلاغ .

.....

اختفى محمود قطائف تاركاً خلفه رائحة تبغ وعرق . وترك صمناً تتلاقى فيه النظرات وتتباعد . وثمة تناحر بين الفتى وأمه . بين الفتى وغرائزه^(١) .

إن دلالات متنوعة بدت لنا من الصمت في هذا النص ، فالصمت الأول كان من محمود قطائف نتيجة خوفه من غضب الفتوة شمس الدين ، وكان الصمت الثاني من قطائف أيضاً الذي لاذ في الصمت ، ولهذا دلالة الخوف وعدم القدرة على الكلام رداً على ما قاله شمس الدين ، أما الصمت الثالث فكان من قبل الفتوة وأمه ، ودلالته قوية على الحيرة والتفكير في الأمر ملياً .

وهناك صمت دلالاته أخرى مثل الصمت التالي : " وتصاب فلة بحمى . تتدهور صحتها ولا تنفع معها وصفات العطار . وترنو إليه صامتة ، وتعجز حتى عن البكاء ، وتسلم الروح في جوف الليل^(٢) " .

إنها ترنو إليه صامتة ، انظر إلى هذا التعبير الدال ، فقد حمل الصمت هنا عدم القدرة على الكلام ، وصمت العبرة أيضاً ، أو صمت العجز .

وهناك دلالة أخرى للصمت في الحوار الذي دار بين شيخ الحارة وزوجة سماحة الهارب ، " ومر بها شيخ الحارة فسألها عن زوجها ، ماذا أقعده في البيت ، فقالت بوجوم :

- سافر إلى الصعيد ..

فدهش الرجل وقال :

- أمس قابلته فلم يخبرني بشئ

(١) الحرائش ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٢) السابق ص ١٢٨ .

فقال باستسلام :

- سافر !

.....

متى يرجع ؟

فلاذت بصمت واجم^(١) .

دلالة الصمت الواجم هي الخوف من إفشاء سر زوجها ، فلو يعرف شيخ الحارة سره لكان ذلك شراً لهم .

وهنا دلالة أخرى للصمت واضحة في هذا الحوار التالي " وكان يمر أمام البوطة في جوف الليل عندما رأى شبحاً مترنحاً عرف فيه أباه عبد ربه . تأبط ذراعه فتسائل الرجل :

- من ؟

- جلال يا أبي ..

وصمت السكران قليلاً ثم قال :

- إني خجلان يا بني^(٢) .. " .

حقاً إنه صمت يدل على الخجل والحياء من مَنْ ؟ خجل وحياء الأب من ابنه .

وهناك دلالة أخرى للصمت تتضح من الحوار التالي : " وتدافعت الأحداث مثل زبد النهر الأغبر . ولاحظ شمس الدين ذات صباح وهو يحتسي قهوته في بيته فلقا أسود يلف عفيفة ونور الصباح فخفق قلبه وتساءل :

- سماحة ؟

فتلقى صمتاً مريباً ضاعف من أحزانه فسأل بحدة :

- ما الجديد من متاعبه ؟

(١) السابق ص ٢٤٠ .

(٢) السابق ص ٣٩٩ .

- ليس في البيت ..

- رجع إلى التسلسل ؟

- بل غادرنا !

- هرب^(١) .

إن الصمت هنا له دلالة الحزن وخيبة الأمل خيبة والرجاء .

كما أن الصمت تتعدد دلالاته كما في الحوار التالي " ولكن غيبة سماحة لم تدم كما دامت من قبل غيبة عاشور أو قرّة . رجع إلى الحارة ذات يوم وقد بلغ رشده .

بلغ رشده ولكنه فقد أشياء ثمينة لا تعوض ... حتى أبوه لم يعرفه لأول وهلة .

ولما اكتشف حقيقته واجتاحته موجه من السرور والأسى ... وتحنى به جانباً

وسأله بإشفاق :

- ماذا فعلت بنفسك ؟

وجعل يرددّها والآخ صامت مستغنيا بمنظره عن أي بيان^(٢) .

فالصمت هنا دلالاته الاستغناء بالسياق والمنظر عن الكلام ، فالكلام ربما لا

يكون دالاً مثلما الحال .

وإذا كان الصمت تتعدد دلالاته في البيئات الشعبية [الحرافيش] فهو أيضاً تتعدد

دلالاته في الطبقة الوسطى [السكرية] ، والأمثلة التالية تؤكد ذلك : " وتُسبَعُ الجوّ

بالحماس والحرارة ، وتعب المشرفون على الحفل حتى نشروا السكون في الأركان ،

كي يسمع الناس المقرئ وهو يتلو ما تيسر من القرآن مردداً فيما يتلو ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ ، وكان الناس ينتظرون هذا النداء فتعالى الهتاف

والتصفيق حتى احتج بعض المترمّتين وطالبوا بالصمت احتراماً لكتاب الله^(٣) .

(١) السابق ص ٤٦٥ .

(٢) السابق ص ٤٦٧ .

(٣) السكرية ص ٣٧ .

وهنا دلالة الصمت محددة باحترام كلام الله والتفكر فيه ، ودلالة الصمت في الحوار التالي جديدة في سياقها إذ يتكلم كمال ورياض قلدس [المسيحي] في مشكلة الأقباط والمسلمين ، يقول كمال : " اسمع ، لماذا لا تعالج ذلك في قصصك ؟

- مشكلة الأقباط والمسلمين ...

فصمت رياض قلدس ملياً ، ثم قال :

- أخاف سوء الفهم ..

ثم مستطرداً بعد فترة صمت أخرى :

- ثم لا تنسى أننا رغم كل شيء في عصرنا الذهبي (١) .

دلالة الصمت الأول دلالاته التعجب من طلب كمال ، أما الصمت الثاني من رياض أيضاً دلالة على تفكره فيما يقول .

وهناك دلالة للصمت أخرى تتضح من الحوار التالي بين أحمد وعلوية التي يريد أحمد خطبتها فيعرض لها إمكانياته : " سأجد بعد تخرجي عملاً ..

ثم بعد لحظات من الصمت :

- وسيكون لي يوماً دخل لا بأس به !

فتمتعت في حياء :

- كلام عام ..

فقال وهو يداري ألمه بالهدوء :

- سيكون المرتب في الحدود المعروفة ، أما الدخل فحوالي عشرة جنيهات ..

وساد الصمت . لعلها تزن الأمور وتفكر (٢) .

الصمت الأول دلالاته التخرج من الكلام في هذا السياق ، أما الصمت الثاني

فدلالاته التفكير .

(١) السابق ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) السابق ص ١٨٧ .

وانظر إلى دلالة الصمت في الحوار التالي : " ألم تفكر في اختيار الشكل الذي يناسبك من أشكاله الكتابة ؟

فصمت مفكراً كأنما أغلق عليه المعنى المقصود^(١) .

دلالة الصمت هنا هي التعجب من التساؤل . انظر أيضاً إلى النص التالي :

" وتوقفت عن المسير وابتسمت ابتسامة مرتبكة كأنما نقول أن لنا أن نفترق فبلغ

به الاضطراب نهايته ، ثم مدت يدها ، فتلقاها بيده وصمت فترة رهيبية ، ثم غمغم :

- مع السلامة^(٢) .. " .

الصمت هنا يدل على الاضطراب من الافتراق وعدم موافقته عليه .

وفي الطبقة العليا كما تصور رواية الشحاذ نجد الصمت متعدد الدلالات أيضاً ،

ومن ذلك الأمثلة التالية :

" ولولا الشرفة المغلقة المطلّة على الميدان ما روعتهما بين حين وآخر

عواصف الشتاء أو انهلال المطر . واستنفدت ليالي الشتاء الأحاديث . وشملهما الصمت

أوقاتاً ولكنه صمت مضمّر للرضى والارتياح والطمأنينة المتبادلة^(٣) .

الصمت هنا دلالاته الرضى والارتياح والطمأنينة التي تسود بينهما ، أما الصمت

في النص التالي فله دلالة أخرى ، " وتعانقا طويلاً وعمر في غاية من الانفعال ، ثم

جلسا على المقعدين المتقابلين أمام المكتب ولسانه لا يتوقف عن كلمات الترحيب

والتهنئة والتبريك ، والآخر يبتسم وكأنه لا يجد ما يقوله . وحل صمت قصير كرد فعل

فراحا يتبادلان النظر . وتموجت المخيلة بالذكريات . وتحركت في الأعماق مشاعر

غريبة منذرة بكل ظن^(٤) . إنه صمت التوجس والريبة .

وهكذا تتعدد دلالات الصمت في مادة البحث ، وهي بإيجاز ، دلالة التوجس

والخوف والريبة، ودلالة الذهول، ودلالة التعجب، ودلالة العجز وعدم القدرة على

(١) السابق ص ٢٠٩ .

(٢) السابق ص ٢٧٥ .

(٣) الشحاذ ص ١٠٣ .

(٤) السابق ص ١٣٠ .

الكلام، ودلالة الخوف من إفشاء السر، ودلالة الخجل والحياء، والصمت لدلالة الحال، ودلالة الاحترام والتفكر في كتاب الله أثناء قراءة القرآن الكريم، ودلالة على الاضطراب^(١).

[٢] دلالات الأصوات غير الكلامية [الفضلات الصوتية] كالتأوه، والصراخ، والضحك، والغمغمة، والزمجرة.

إن لهذه الأصوات دلالات، تظهر من خلال الانفعالات التي تحدث التأوه والضحك والصراخ وغيرهم من الأصوات التي تمثل الحالة النفسية للمصوت بهم، ولتحليل دلالات هذه الظاهرة من خلال مادة البحث أبدأ كالآتي:

- التأوه، ومعه آه، واوه، وهه.
بين صاحب اللسان أن "آه" هو حكاية المتأه في صوته^(٢)، كما يشير أحد الباحثين إلى أن لا خلاف بين دلالة المادة في القديم ودلالاتها المعاصرة فكلاهما يفيد التوجع والحزن^(٣).

وأتى التأوه بهذه الدلالة في الحرافيش، وهذا كان في حوار بين عاشور وزوجته عن فلة التي تعمل في البوظة، يقول الحوار: "وما هذه الفلة التي رمانا بها درويش؟ تجنب النظر إليها وقال بازدرأ:

- فيم تسألين؟، بنت تقيم في خمارة؟

- جميلة؟

(١) درس د. أحمد عارف حجازي دلالة الصمت في الحديث النبوي، ووجد دلالاته كالآتي:
الاسترسال في الفكر، الإفهام، وجود الوحي أثناء السؤال، انتظار الوحي، الشفقة والحب، الرفض - الرضا والقبول، المخالفة، كما يشير إلى أن دلالات الصمت في الحديث اليومي تفيد دلالات متعددة، منها:

- | | |
|---------------------|----------------|
| [١] الموافقة . | [٢] المخالفة . |
| [٥] التعلم . | [٦] التذكير . |
| [٣] الرضا والقبول . | [٧] الاحترام . |
| [٤] الحياء . | [٨] الخوف . |

كما يشير إلى دلالاته الأساسية وهي انتهاء الكلام، أو انتهاء الفكرة.
انظر بحث د. احمد عارف ١٩٩٤م ص ١٢٦، ١٤٣.

(٢) لسان العرب مادة "أوه".

(٣) انظر د. محمد داود ٢٠٠٢ ص ٤٧٠.

- داعة .

- جميلة .

.....

فقال متأوهة :

- لن يرجعوا يا عاشور ... " (١) .

فهنا دلالة التأوه الحزن .

وتأتي [آه] أيضاً في الحوار التالي : " فقال إبراهيم شوكت وهو يشعل سيجارة:

جاءها الطلق في الصباح الباكر ، والساعة تدور الآن في الخامسة مساء ،

مسكينة ، إنها رقيقة كالخيال ، ربنا يأخذ بيدها .

ثم وهو يردد عينيه الخاملتين في الجالسين عامة ، وابنيه عبد المنعم وأحمد

خاصة :

- آه لو تذكر الآلام التي تتحملها الأم (٢) ! " .

و " آه " هنا دلالتها واقعة على الآلام التي تتحملها الأم في عملية الولادة .

وتأتي " آه " بدلالة الخوف في الحوار الذي يدور بين أحمد عبد الجواد وزوجته ،

يقول السيد : " وجهك شاحب من المشي ، كلها كم يوم وتصبحين من زبائن الدكتور! ..

- ربنا الحافظ ، أن لا أخرج إلا لزيارة آل البيت، فكيف يقع لي سوء ؟ ! .. ثم

متداركه :

- آه يا سيدي ، كدت أنسى ، يتحدثون في كل مكان عن الحرب ، يقولون إن هلتر

هجم ... ! " (٣) .

وآه تأتي للتوجع مع التأوه : " فتأوه الباشا قائلاً :

(١) الحرافيش ص ٤٢ .

(٢) السكرية ص ١٥٤ .

(٣) السابق ص ١٧٤ .

- أيام زمان ! . آه من الزمان ! ، يا أولاد لم تكبر ؟ !! ، جلت حكمتك يا ربي
وعلت^(١) ! .. " .

أتى الفعل " تأوه " مع " آه " ؛ ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتي [أف] بدلالة المعاناة كما في " الدنيا حر ، أف ..

- إذا لطستنا الخمر استوى لدينا الحر والبرد .. " (٢) .

وتأتي [أوه] بمعنى التعجب : " أتعرف هذه المرأة ؟ .

- نعم ..

- كيف ؟

- امرأة من هاتيك النسوة ، ولعلها نستني ! ..

- أوه ، الحانات ملأى بهن " (٣) .

وكذلك في الحوار التالي : " صاحبكم جثة لا يؤثر فيها الشعر ! ، ولكنه سيبلغ
قريباً فترة الحشرات حين يصير كل جميل أو إحدى أخواتها ، [ثم متلفتا إلى مهران]
وأصحاب زمان يا ابن الهرمة هل نسيتم .

- أوه ، الله يمسبهم بالخير^(٤) .. " . وتدل هنا على التوجع بذكرى مع صاحب .

وهناك [هه] ، يقول : " وعندما قلت لها إني تواق إلى سماع كلمات الحب من

ثغرها المشغول بالاشتراكية وبختني قائلة باحتقار : " هذه النظرة البورجوازية العتيقة
إلى المرأة .. هه ! ؟ " (٥) .

وتأتي [هه] في النص السابق بدلالة الاستحقار والاستهزاء ، وتأتي بدلالة

التعجب كما في النص التالي: " كان سفره إلى إيران آخر ما حدثني به إسماعيل لطيف
عنه ! .

(١) السابق ص ٣٠١ .

(٢) السابق ص ١١٣ .

(٣) السابق ص ١٩٣ .

(٤) السابق ص ٣٠٢ .

(٥) السابق ص ٢٦١ .

فقال حسين بكآبة :

لم تمكث أختي معه في هذه الرحلة إلا شهراً واحداً ، ثم عادت بمردها .. [ثم بصوت منخفض] يرحمها الله ! .

هه ؟ ا .. (١) .

- الصراخ :

الصرخة هي " الصيحة الشديدة الفزع أو المصيبة ... وقيل الصراخ : الصوت الشديد^(٢) " ، ويشير د . داود إلى أنها تأخذ في الفصحى المعاصرة دلالات الدعوة الحارة ، والإعلان بشدة ، وبمعنى الهتاف العالي ، وبمعنى الشكوى ، وبمعنى الأفكار الجريئة ، وبمعنى الطلب بإلحاح ، وبمعنى النداء ، وبمعنى النقد الحاد ، وبمعنى الرفض^(٣) . ونقدم في السطور التالية تحليلاً لدلالة الصراخ .

يقول : " ضمه عاشور إلى صدره بقوة حتى صرخ^(٤) " ، وهنا بمعنى طلب النجدة من قوة ضم عاشور له ، وأمه من هذا الضم .

وبالدلالة نفسها في النص التالي : " فانقض عليها فلطمها حتى صرخت فوثب عاشور نحوه وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوهاً :

- أنا في عرض النبي

فتركه وهو يزمجر غاضباً فتهاوى درويش على الأرض وهو يصرخ^(٥) .

وهنا وردت كلمة صرخ مرتين بدلالة طلب النجدة ، والألم .

وترد بدلالة الفزع والغضب في : " ثم رأى بكر يسد الباب مرتجفاً من شدة الغضب .

(١) السابق ص ٣١٠ .

(٢) لسان العرب مادة " صرخ " .

(٣) د . محمد داود ٢٠٠٢ ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ .

(٤) الحرافيش ص ٢٤ .

(٥) السابق ص ٥٠ .

صرخ بكر :

- يا لك من وغد .

انقض عليه كالوحش وراح يكيل له الضربات والآخر ولا يرد . دميت شفتاه
وأنفه ولكنه لم يرد ، فصاح بكر :

- شكك العار

.....

- ماذا جرى لك ؟

- ألا تعرف حقا ؟

- لا أفهم شيئاً ..

فصرخ :

- تطمع في زوجة شقيقك ^(١) .

وتسرد بمعنى الرفض، مثل : " فقال خضر: إذن فليؤجل المزاد لعلنا نصل إلى
اتفاق .

عند ذلك صرخ بكر : كلا ^(٢) .

وبمعنى الاعتراض ، مثل : " ما أنت إلا امرأة قدرة تتطلع إلى عاشقها القديم ..
فصرخت :

- لقد فقدت عقلك ^(٣) .

فهنا بمعنى الاعتراض على السب والتناول .

وتأتي " صرخة " بمعنى مصيبة أو فزعة ، : " من مكان ما في مملكة الظلام
انطلقت صرخة . صرخة مميزة بالفزع واليأس . سرعان ما تجسدت في صورة فريسة
موءودة الفرحة . تتطلع بعينين محتجتين نحو النجم اللامع ^(٤) " .

(١) السابق ص ١٦٨ .

(٢) السابق ص ١٨٦ .

(٣) السابق ص ١٨٨ .

(٤) السابق ص ٢٢٠ .

وكذلك في : " عقب اختفائه بدقائق سمعت صرخة عصفت بجذور قلبها .

اندفعت من الدكان مجنونة فرأت وحيد يتمرغ في التراب مخضب الوجه بالدماء . وعن بعد ثمة غلمان يجرون فزعين ، تجاهلت مضطرة الجناة ورفعت ابنها بين يديها وهي تصوت ، ولما تفحصت وجهه صرخت بأعلى صوتها :

- ضاعت عين الولد ! " (١) .

وتأتى كلمة " صريخ " بمعنى الصوت الشديد المفزع ، : " والتحم الفريقان بضراوة ووحشية . تصادمت النبابت ، تلاطمت الأجساد ، فرقعت الصكات ، تطايرت اللعنات تحت الرذاذ ، سألت الدماء ، استحرت الأحقاد ، أغلقت الدكاكين ، هرولت العربات ، تجمع الناس في طرفي الحارة ، اكتظت النوافذ والمشربيات علا الصريخ والعيول .. " (٢) .

وأشير إلى أن الصراخ ومشتقاته يوجد بكثرة في الحرافيش ويقال في الشحاذ ، بينما لا يوجد بكثرة في السكرية ، وهذا بالفعل حقيقة فالصراخ يوجد في البيئات الشعبية ، ويقال في الوسطى ، ويندر في العليا .

- الزمجرة :

الزمجرة هي : " الصوت ، وخص بعضهم به الصوت من الجوف ، ويقال للرجل إذا أكثر الصخب والصياح والزجر : سمعت لفلان زمجرة (٣) " واستعيرت إلى مجال الدلالة الكلامية بمعنى : الكلام بغضب وحدة ، وربما بسوء أدب (٤) .

وترد بمعنى الكلام بغضب وسوء أدب في : " فوثب عاشور وطوقه بذراعيه وشد حتى صاح متأوها :

- أنا في عرض النبي ..

فتركه وهو يزمر غاضباً فتهوى درويش على الأرض وهو يصرخ :

(١) السابق ص ٢٤٧ .

(٢) السابق ص ٤٧٨ .

(٣) لسان العرب مادة " زمجر " .

(٤) انظر د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص ٤٩٩ .

في ألف داهية .. " (١) .

وترد بمعنى آخر وهو الصوت الصاخب الذي تفعله زوابع : " وتمر الأيام
تزمجر زوابع أمشير ثم تعقبها رياح الخماسين . تتراكم السحب ثم يسفر بحر الصفاء
الأزرق " (٢) .

وترد بمعنى الصوت الصاخب للغضب كما في : " واستأنف الحملة عليها حتى
هرع عمال إلى مدخل الحجرة وتجمهر نفر في الحارة أمام المحل .
وترامى من بعيد صوت سليمان الناجي وهو يزمجر " (٣) .

وأشير إلى أن الزمجرة وجدت في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولم ألاحظ
وجودها في السكرية والشحاذ ، ربما لارتباط الصوت العالي الشديد في عملية التواصل
بالبيئات الدنيا .

- الغمغمة :

تعرف الغمغمة والتغمغم بأنها : " الكلام الذي لا يبين ؛ وقيل : إنها أصوات
الثيران عند الزعر ، وأصوات الأبطال في الوغى عند القتال ، قال امرؤ القيس :

وظل لثيران الصريم غمام يداعسها بالسهمري المغلب

وفي صفة قریش ليس فيهم غمغمة قضاة ، الغمغمة والتغمغم : كلام غير بين
قاله رجل من العرب لمعاوية " (٤) .

وتأتي كلمة الغمغمة (٥) ومشتقاتها بكثرة في رواية الحرافيش ، وسوف نتبين
دلالات الغمغمة من خلال حدث الغمغمة في السياق الخاص بالنصوص التي نختار
بعضاً من الذي وردت فيه .

(١) الحرافيش ص ٥٠ .

(٢) السابق ص ١٢٦ . وأشير إلى أن هذا المعنى لم يرد في الدراسة القيمة التي أعدها د . محمد داود
عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

(٣) الحرافيش ص ١٦٨ .

(٤) لسان العرب : مادة [غم] .

(٥) لم يتطرق د . محمد داود إلى هذه الكلمة رغم أن كتابه عن الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية
لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

هنا يغمغم بمعنى يتلفظ بكلام غير واضح ناتج عن الحالة النفسية التي هو فيها ،
فهنا يغمغم دلالتها واضحة من سياقها .

ويقول : " وتتابعت الفصول ، وظلت التكية تشدو بالأناشيد الغامضة ، حتى جاء
اليوم الموعود .

وتلفت شيخ الحارة فيما حوله وغمغم حانقا :

- ما شاء الله !

رأى الأعلام ترفرف في أعالي الدكاكين والأسطح ، رأى الكلويات تعلق ، رأى
الأرض تفرش بالركل الفاقع ، سمع موجات الأصوات وهي تهدر بتبادل التهاني . وعاد
يغمغم :

- كل ذلك من أجل عودة لص من سجنه ! " (١) .

هنا يغمغم وغمغم بالدلالة السابقة ، ولكن ارتبطت بحقد من شيخ الحارة وتكرار
الغمغم هنا له دلالته الواضحة على الكراهية الزائدة من شيخ الحارة على فتوتها
عاشور .

وفي النص التالي : " ونادت شمس الدين حتى فتح عينيه متذمراً . طالعها
بوجهه الجميل متسائلاً ، فقالت له :

- أبوك لم يرجع من سهرته !

ولما استوعب قولها أزاح عنه الغطاء بجسمه الرشيق المائل إلى الطول وبقلق
غمغم :

- ماذا حدث ؟ " (٢) .

غمغم هنا بالدلالة نفسها المذكورة آنفاً ، وقد أعطت دلالة القلق والحيرة هنا .

ويلاحظ أن دلالة الغضب واضحة في النص التالي :

" ترى ماذا شهدت خمارة درويش ؟ . هل يوجد رجال يعرفون من خفايا أمه ما

لا يمكن أن يعرف ؟ ! .

(١) السابق ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) السابق ص ٨٩ ، ٩٠ .

وغمغم بغضب :

- الويل لمن تسول له نفسه اقتحام محرابها ! " (١) .

وكذلك في النص التالي : " فغمغم بأصوات مغضوضة وجف ريقه " (٢) .

وتكتسب دلالة الحيرة كما في النص التالي : " وقال الحرافيش إن أسرة الناجي أصبحت مسرح الحزن وأمثولة العبر جزاء خيانتها لعهد جدها العظيم صاحب الكرامات والبركات ...

وفي ذلك الوقت تنكر الجو في برمودة فتلبدت السماء بالغيوم على غير ميعاد ، وانهل مطر غريب ، ثم تساقط وابل من البرد ، فذهل الناس وعجبوا ، ووجفت قلوبهم ، ولكنهم غمغموا حيارى " لعله خير يا رب العالمين ! " (٣) .

إن الغمغمة هنا دلالة على الحيرة التي فيها الحرافيش للأحداث الواضحة من السياق التي غمغم فيها الحرافيش .

وهكذا تأتي الغمغمة بمعنى أصوات أو كلام غير واضح في سياق يتضح منه الغضب أو الضرب والذعر أو الحسد أو الحيرة .

- الهمهمة :

هي " الكلام الخفي ، وهمهم الرجل إذا لم بين كلامه " (٤) ، ووردت في العربية المعاصرة بمعنى الكلام الخفي غير الواضح " (٥) .

وترد الهمهمة في مادة البحث ، منها " فقال بعد تردد :

- عثرت على وليد تحت السور العتيق ..

وانداحت همهمة بين الرجال حتى قال أحدهم :

- اللعنة على الأثمين .. " (٦) .

(١) السابق ص ١١٠ .

(٢) السابق ص ١٢٣ .

(٣) السابق ص ٣٨٠ .

(٤) لسان العرب مادة " همم " .

(٥) د . محمد داود ٢٠٠٢ م ص ٤٩٤ .

(٦) الحرافيش ص ٧ .

والهممة هي الكلام غير المفهوم ، أو تصويت غير مفهوم والهممة تدل هنا على الحيرة والتوجس الذي جعل الرجال يهيمون، وبالذلالة نفسها ترد في النص التالي : " تطايرت التوقعات من رأس إلى رأس . سرت الهممة مثل الطنين . داري سعيد الفقي ابتسامة^(١) " .

- الضحك :

ولما كانت دلالة الضحك متعددة جعلتها في نهاية الأصوات غير الكلامية. والضحك هو سرور النفس ، وقد استعير ليستخدم في مجال السخرية ، ومجالات أخرى سوف نراها في النصوص التالية من مادة البحث .

فيستخدم بدلالة السخرية مثل : " فقال أحمد عبد الجواد متتهداً :

- أنا ؟ ! . يا ليت ، الزمن غير الزمن يا سلطنة ، طالما صارحتك بالحقيقة ولكن يبدو أنك لا تصدقين يا سلطنة ..

فضحكت ضحكة دارت بها خيبة أملها وقالت :

- السلطنة مفلسة ، فما العمل ؟ " (٢) .

وأيضاً بدلالة السخرية في النص التالي : " فقال أحمد عبد الجواد ضاحكاً :

- إذا ندمتم فاندموا على الشر لا على الخير يا أولاد الكلب ! . " (٣) .

وبدلالة السخرية أيضاً : " يبدو أن قهوة أحمد عبده لا تعجبك !

فارتفع رأس إسماعيل في تطاوله المعهود ، وقال :

- إنها غريبة حقاً ، ولكن لماذا لا نختار مكاناً فوق سطح الأرض ؟ !

- على أي حال هي أنسب مكان للناس المستقيمين أمثالك .

فضحك إسماعيل وهو يهز رأسه في تسليم ، كأنما يقر بأنه أصبح جديراً حقاً

بفضيلة الاستقامة ، هو الذي كان وكان^(٤) " .

(١) السابق ص ١٨٥ .

(٢) السكرية ص ١٩ .

(٣) السابق ص ٤٢ .

(٤) السكرية ص ٤٨ ، ٤٩ .

وبدلالة السرور والانبساط في النص التالي : " فضحك إسماعيل ضحكة عالية أعادت إلى وجهه الرزين كثيراً من ملامح الماضي الماكرة^(١) " ، وبالدلالة نفسها في النص التالي : " فتساءل إبراهيم الفار : أتحسب أن الذي يستطيع أن يعرف أن جده الأول قد يعجز عن معرفة أن أباه فاسق فاجر ؟ !

- فضحك محمد عفت عاليا حتى سعل^(٢) " .

وتسألون الضحكات بدلالات متنوعة كما في النص التالي : " وشعر لتوه بأنه ما كان ينبغي له أن يطرح هذا السؤال خشية أن يفسره الآخر بأنه استدراج إلى الكلام في خطبة نعيمة ! ، ولكن فؤاد لم يبد عليه أنه فكر في هذا ، بل ضحك ضحكة عالية وإن لم تخرج به عند حد الوقار ، وقال :

أنت تعلم أنني لم أفسد إلا متأخراً ، لم أفسد مثلك في زمن مبكر ، فأنا لم أشبع

بعد !

.....

- أنت تنظر إلى الزواج نظرة ...

فقاطعه قبل أن يكمل كلامه ضاحكاً :

خير من الذي لا يعيره نظرة على الإطلاق !

.....

إن مركزك يغنيك عن أمثال هذه المغامرات ..

- لولا هذه المغامرات ما استطاع رئيس أن يؤلف وزارته ؟ .

فضحك كمال ضحكة لا طعم لها^(٣) " .

فدلالة الضحك في النص السابق تتنوع ما بين السخرية والسرور والاستهجان .

وتتلون دلالة الضحك في السياقات الثقافية التي ترخر بها السكرية ، ومن ذلك :

" قلت إني سأجد عملاً ، ستجدين من ناحيتك عملاً أيضاً ...

(١) السابق ص ٥٠ .

(٢) السابق ص ٤٦ .

(٣) السابق ص ٩٩ ، ١٠٠ .

فضحكت ضحكة غريبة :

- كلا لن أشتغل ، لم أذهب للجامعة لأتوظف كسائر زميلات ..

ليس العمل عيبا ..

.....

فقال بصوت كأنما تعمدت أن يكون رقيقاً فوق العادة ك

- أستاذ أحمد ، فلنؤجل الحديث ، أعطني مهلة للتفكير ...

فضحك ضحكة فاترة^(١) .

فالضحكة الأولى التي ضحكتها علوية كانت ضحكة غريبة دلالة على الاستهجان منها لما يقوله أحمد ، أما الضحكة الثانية وهي من أحمد فقد كانت فاترة تحمل دلالة الضيق والضحج من كلام علوية . وأنا أتعمد أن استعين بالكلمة داخل سياقها الواسع حتى تكون دلالتها واضحة .

وتحمل الضحكة أحياناً معاني مهمة داخل الرواية ، ومن ذلك " فضحك ياسين ضحكته العظيمة وقال^(٢) " ، وياسين شخصية لها خصوصيتها في الرواية ، حيث حملت بدلالة الاستهتار وحب العبث .

وتأتي الضحكة بمعنى الرثاء كما يتضح من النص لتالي : " السلطانة في حجرة فوق السطح ! . سبحان من له الدوام . فقال علي عبد الرحيم :

- نهاية محزنة ، بيد أنها كانت متوقعة .

فندت عن محمد عفت ضحكة رثاء وقال :

- فليرحم الله من يأمن إلى هذه الدنيا !^(٣) .

كما أنها تحمل دلالات أخرى في النص التالي: " من الصعب أن أوضح ، ولكني

وجدت في ديوانك بدء الطريق ..

(١) السابق ص ١٨٧ .

(٢) السابق ص ٢٨٠ .

(٣) السابق ص ٤٨ .

وضحك ضحكة عضلية خالصة وقال :

- مؤامرة عائلية ! .. أمك تعرف من زمن وأطلعتك على ذلك الشيء الذي تسمينه ديواناً .. " (١) .

إن سخرية من نوع خاص تلك النابغة من هذه الضحكة العضلية ، وتأتي من النص التالي بنوع من السخرية الحادة أيضاً: "الدكتور حامد سأل عن الأصلع الصغير .. ثم بعد أن سكتت عاصفة الضحك" (٢) .

انظر إلى تعبير " عاصفة الضحك " المفعم بدلالة السخرية ، وأيضاً يأتي تعبير آخر عند نجيب محفوظ بالدلالة نفسها ، : " على أن أعيد النظر في حياتي كما فعلت أنت ..

- طالما نصحت بالمتابعة والصبر .

فبصق ضحكة خسنة وقال :

- لا فائدة من تجاهل الجماهير ! " (٣) .

انظر إلى التهكم والازدراء من خلال تعبير فبصق ضحكة خسنة الموصوف بسمات بلاغية جميلة الدلالة في سياقها ، والحادة في وصفها ضحكة الرجل .

وتأتي كلمة يقهقه بدلالة السخرية والتهكم كما في : " وسرعان ما اعترف فيما بينه وبين نفسه بأنه ضاق بكل شيء ذرعاً ، وأن الدنيا تبدو أحياناً كلفظة قديمة اندثر معناها .

- إنك لم ترض يوماً عن عقلي !

إسماعيل وهو يقهقه :

- أتذكر ؟ يالها من أيام ! " (٤) .

(١) الشحاذ ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) السابق ص ١٦ .

(٣) السابق ص ٤٠ .

(٤) السكرية ص ٥٢ .

وتأتي بدلالة السرور والانبساط : " فقال إسماعيل :

- أنقبل دعوتي إلى كأسين في مكان لطيف مأمون ؟

فقهقه إسماعيل قائلاً :

- إن زوجتي تنتظرني لنذهب معاً إلى زيارة خالتها .. " (١) .

وتأتي بدلالة أخرى حسب هذا السياق : " يعاملني كما لو كنت أنا الابن وهو

الأب ، يحاسبني حساب الملكين .. أو يتساعل وهو يقهقه (٢) " .

هنا تحمل دلالة عدم الأهمية والازدراء والغضب .

وتحمل دلالة السخرية كما في النص التالي : " عند ذاك قال حسونة السبع

متهمكاً :

- هناك سبب أقوى من الإفلاس .

واتجهت إليه الرعوس بكل إجلال فقهقه قائلاً :

- الجنون ! .. " (٣) .

وهكذا تتعدد دلالات الضحك (٤) والفقهقه في الروايات مادة البحث ، مما يجعلنا

نقول إن الأصوات غير اللغوية التي يخرجها الإنسان ، والتي تسمى عند علماء اللغة

بالفضلات اللغوية تحمل معاني عديدة داخل التواصل ، وتحملها كل ثقافة دلالات خاصة

بها ، ومن هنا نقول إن دلالات السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي تعطي دلالات

واسعة في عملية التواصل .

(١) السابق ص ٥٥ .

(٢) الحرافيش ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٣) السابق ص ٥٣٥ .

(٤) في دراسته لدلالات الضحك في الحديث الشريف ذكر د . أحمد عارف أن دلالاته كالآتي :

السرور والاستحسان والرضا والقبول ، والتعجب ، والتعظيم ، والتصديق ، والحياء ، والغضب .

انظر كتاب د . احمد عارف ص ١١١ - ١٢١ .

الخاتمة

في ختام بحثي هذا القائم على تحليل دلالات السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي في عملية التواصل في روايات الأستاذ نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش ، والسكرية ، والشحاذ وقد قسمت هذه الدلالات إلى قسمين :

[١] قسم نابع من أصوات تابعة للأداء الكلامي .

[٢] قسم نابع من أصوات غير كلامية كالغغمة والصراخ والزمجرة والضحك .

في القسم الأول رأيت من خلال نصوص الروايات أن السمات الصوتية تساعد المؤلف على رسم شخصيات الرواية ، ويستغلها في إيضاح السمات الجسدية ، أي بين القوة والضعف ، وبين الرجل والمرأة ، فقد رأينا المؤلف قد عبر بالفروق الصوتية بين شخص وآخر من الجنس نفسه ، وبين الرجل والمرأة ، وأضفى على شخصياته سمات صوتية شخصية أعطت دلالات متنوعة .

كما أن السلوك الصوتي كما يتضح من خلال نصوص الروايات يرتبط بالحالة النفسية ، وكذلك بالحالة الصحية للمتكلم.

وتبين السمات الصوتية الشبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي الطبقة الاجتماعية المنتمي لها المتكلم التي نشأ فيها ، ومن روايات محفوظ اتضح كثير من السمات الخاصة التي ترد كثيراً في الحرافيش [البيئة الشعبية] ولا ترد في السكرية أو الشحاذ لارتباطها بالبيئة الدنيا . فسمات كالولولة عند النساء توجد في البيئة الشعبية أكثر من البيئات الأخرى .

كما حلت دلالات الصمت التي وجدتها من خلال نصوص الروايات دالة على التوجس والريبة ، والتفكر ، والخوف ، والحيرة ، والعجز ، والحزن ، والاضطراب ، وعدم الموافقة .

أما دلالات الأصوات غير الكلامية ، فمن خلال الروايات المذكورة وجدت أن دلالة التأوه ، وآه هي الألم ، والخوف ، ويأتي الفعل " تأوه " مع " آه " ليفيد التوجع الزائد عند المتكلم .

وتأتي " أف " بدلالة المعاناة ، وتأتي " أوه " بمعنى التعجب ، وتأتي " هه " بمعنى الاستحراق والاستهزاء .

أما الصراخ فيدل على الألم وطلب النجدة ، وبدلالة الرفض ، والاعتراض ، وللتعبير عن الفزع .

وتدل الزمجرة على الغضب ، وتدل الهمهمة على الكلام غير المفهوم لظروف يعيشها المتكلم، وتدل الغمغمة على الغضب والضجر ، وغالبا ما ترتبط بالبيئات الشعبية لكثرة المعارك فيها .

ويدل الضحك على السخرية ، والسرور ، والاستهجان ، ويدل على الرثاء ، والتهكم والازدراء ، كما أن القهقهة تدل على السرور ، وعدم الأهمية، والغضب ، والسخرية ، هذه الدلالات تتبع من خلال السياقات التي حدثت فيها في الروايات الثلاث.

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

- ١- الأبيشي ، شهاب لدين محمد بن أحمد : المسنطرف في كل فن مسنطرف ، تحقيق د . مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث بالقاهرة .
- ٢- إيركرومبي ، ديفيد ١٩٨٨ : مبادئ علم الأصوات العام ، ترجمة وتعليق د . محمد فتيح ، القاهرة .
- ٣- د . بشر [كمال] ١٩٩١ : اللغة والثقافة ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٦٨ ص ٢٥ - ٥٢ .
- ٤- الجاحظ ، أبو عثمان ، عمر بن بحر ١٩٦٩ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة الخانجي .
- ٥- د . حسام الدين ، كريم ١٩٩٠ : الإشارات الجسمية ، طبعة الأنجلو المصرية .
- ٦- _____ ١٩٩٢ : الدلالة الصوتية ، طبعة الأنجلو المصرية .
- ٧- _____ ٢٠٠١ : اللغة والثقافة ، طبعة دار غريب بالقاهرة .
- ٨- د . داود ، محمد محمد ٢٠٠٢ : الدلالة والكلام ، دراسة تأصيلية لألفاظ الكلام في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة ، دار غريب بالقاهرة .
- ٩- الرازي ، أبو عبد الله ، فخر الدين محمد بن عمر ١٩٨٢ : كتاب الفراسة ، تحقيق د . يوسف مراد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ١٠- ١٩٨٥ : التفسير الكبير ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
- ١١- د . زيادة : معن ١٩٨٦ : بين الثقافة والحضارة ، مقال منشور بمجلة الأبحاث بكلية الآداب - الجامعة الأمريكية ببيروت ، ٣٤ ، ١٩٨٦ ، ص ٥١ ، ٦٥ .
- ١٢- د . الصاوي ، ليلي ٢٠٠٢ : لغة النساء المصريات كانعكاس لدورهن في المجتمع المصري . مقال منشور بكتاب : العربية أبحاث لغوية واجتماعية وتربوية ، تحرير د . السعيد بدوي و د. علاء الجبالي ، طبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ص ٥٣ - ٨٠ .

- ١٣- د. عارف ، أحمد ١٩٩٤ : دراسات لغوية في الحديث النبوي ، دار حراء
بالمنيا ، مصر .
- ١٤- د. العبد ، محمد ١٩٩٥ : العبارة والإشارة ، دراسة في نظرية الاتصال ، دار
الفكر العربي بالقاهرة .
- ١٥- د. عمر ، أحمد مختار ١٩٨٥ : دراسة الصوت اللغوي، طبعة عالم الكتب ،
القاهرة.
- ١٦- _____ ١٩٩٦ : اللغة واختلاف الجنسين ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .
- ١٧- _____ ٢٠٠١ : أنا واللغة والمجمع ، طبعة عالم الكتب ، القاهرة .
- ١٨- لوتمان : يوري وأوسنيسكي ، بوريس ١٩٨٦ : سيميوطيقة الثقافة ، ترجمة
د. عبد المنعم تليمة ، ضمن كتاب أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة ،
إشراف د. سيزا قاسم و د . نصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية -
القاهرة .
- ١٩- د. محجوب ، فاطمة ١٩٧٥ : اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين
، مقال منشور بمجلة الثقافة ، العدد ٢١ ، ص ٢٨ - ٣٤ .
- ٢٠- محفوظ ، نجيب : بين القصرين ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
- ٢١- _____ : السكرية ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
- ٢٢- _____ : الشحاذ ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
- ٢٣- _____ : ملحمة الحرافيش ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .
- ٢٤- ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة
دار المعارف بالقاهرة .
- ٢٥- ورم ، س ، أ : تغير اللغات نتيجة لتغير الثقافة وانقراضها ، ترجمة أمين
محمود الشريف، مقال منشور بمجلة ديوجين، العدد رقم " ٨١ " ص ٣٨ - ٤٨ .
- ٢٦- د. وطفة ، على ١٩٩٤ : اللغة والانتماء الاجتماعي ، مقال منشور بمجلة
الموقف الأدبي العدد ٢٨٢ ، ص ٢٣ - ٣٨ .

ثانياً: الأجنبية:

- Alder, M,K, 1987: Sex Differences in Human Speech, Helmut Buske Verlag Hamburg .
- Allport, G.W and Cantril, 1972 : Judging Personality form Voice, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 155- 171 .
- Bernstien, B, 1972: Social Class, Language and Socialization, in Giglioli, P (ed) 1972, PP. 157 – 178 .
- Birdwhiste, R. L. 1972 : Paralanguage Twenty – Five Years after Sapir, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 82 – 100 .
- Bloomfield, L, 1962 : Language, Ruskin House, London.
- Bolinger, D, 1964 : Intonation as a Universal, in Horace, G. Lunt (ed) : Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists, PP. 833 – 848, Mouton, London – Paris.
- Crysal, D, 1971 : Prosodic and Paralinguistic Correlates of Social Categories, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthropology and Language, PP. 185 – 205 , Tavistock Publications, London.
- Duranti, A, 1997 : Linguistic Anthropology, Cambridge.
- Eco, U, 1976: A Theory of Semiotics, Indiana Uni press.
- Firth , J. R, 1957: Papers in Linguistics 1934 – 1951, London.
- ----- 1968 : Ethnographic Analysis and Language with Reference to Malinowski Views, in Palmer, F, R, (ed) 1968. Selected Papers of J.R. Firth 1952- 1959, Longmans .
- German. C. 1972: Origine et évolution de la notion de situation de l'école linguistique de Londres, in la Linguistique 1972, Vol: 8, Face: 2, PP. 117 – 136 .
- ----- 1973 : La notion de situation en linguistique, Uni d'ottawa, Canada.
- Goodenough, W: H, 1964: Cultural Anthropology and Linguistics, in Hymes, D (ed) : Language in Culture and Society, Harper and Row, New York. PP. 36-39 .
- Halliday, M, A,K and Hassan, R, 1985: Language, Context and Text, Deakin University.
- Hall, E, T, 1959: The Silent Language, New York.
- Haslett, B, 1989: Comunication and Language Acquisition within a Culural Context, in Toomey, S. T and Korzenny (eds) 1989:

- Language Communication and Culture, Sage publications, London, PP. 19-34.
- Hass, M, R, 1964 : Men's and Women's Speech in Koasati in Hymes D (ed) 1964 : Language in Culture and Society .
 - Hymes, D 1972: On Communicative Competence, in Bridge, J and Holmes, J (eds) 1972 : Sociolinguistics, Benguin Books, PP. 269 – 293 .
 - ----- 1972 : Toward Ethnographies of Communication, in Giglioli, P (ed) 1972 : Languages and Social Context, Penguin, PP. 21 – 44 .
 - ----- 1974 : Foundation in Sociolinguistics, University of Pennsylvania Press.
 - Kluckhn, C and Kelly, W, 1985 : The Concept of Culture, in Ralph, Linton (ed) 1985 : The Science of Man in the World Crisis, New York: Columbia University Press.
 - Kramer, E 1972: Judgement of Personal Characteristics and Emotions from Non- Verbal Properties of Speech, in Laver, J and Hutcheson (eds) PP. 172 – 188 .
 - Laver, J 1972 : Voice Quality and Indexical Information, in Laver, J and Hutcheson (eds) 1972, PP. 189 – 203 .
 - Laver, J and Hutcheson (eds) 1972 : Communication in Face to Face Interaction, Penguin Books.
 - Lyons, J, 1973 : Phonemic and non – Phonemic Phonology, in Jones, W, E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 229 – 239 .
 - Nida, E 1954 : Customs and Cultures, Harper and Row Pub, New York .
 - Robins, R, H, 1971: Malinowski, Firth, and the Context of Situation, in Edwin Ardener (ed) 1971 : Social Anthropolgy and Language, London, PP. 33 – 46 .
 - ----- 1973 : Aspects of Prosodic Analysis, in Jones, W,E and Laver, J (eds) 1973 : Phonetics in Linguistics, Longman, PP. 262 – 277 .
 - Sapir, E, 1927 – 1972 : Speech as a Personality Trait, in Laver, J and Hutcheson, S (eds) 1972, PP. 71 – 81 .
 - Trager, G, 1964: Paralanguage: A First Approximation, in Hymes, D 1964 (ed) Language in Culture and Society, PP. 274 – 287 .

رقم الإيداع ٦٨١٥

